مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: ألفاظ الزمن في كتاب (شرح الأشعار الستة الجاهلية) للوزير أبي بكر البطليوسي "دراسة دلالية وسياقية"
اسم الكاتب: محمد حنون علي الربيعي، ماهر المبيضين
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/9136
تاريخ الاسترداد: 2026/05/12 23:32 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

عدد A

المجلد 18، العدد 2
جمادى الأول 1443هـ / ديسمبر 2021م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

ديسمبر 2021م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 18 العدد 2 (A)
https//: doi.org/10.36394/jhss/18/2A/3

ألفاظ الزّمن في كتاب (شرح الأشعار السّتّة الجاهليّة) للوزير أبي بكر البطليوسي: دراسة دلاليّة وسياقيّة

محمد حنون علي الربيعي[1]

ماهر المبيضين[2]

تاريخ الاستلام: 19-11-2018 **تاريخ القبول: 28-03-2019**

ملخص البحث:

تسعى هذه الدّراسة الموسومة بـ(ألفاظ الزّمن في كتاب «شرح الأشعار السّتّة الجاهليّة» للوزير أبي بكر البطليوسي (ت494 هـ) أن لا تقف عند المعنى المعجمي لألفاظ الزّمن، فكتاب (شرح الأشعار السّتّة الجاهليّة) زخر بألفاظ ظاهرة الزّمن؛ وما هذه الأشعار إلا قطعة من منظومة الفَهْم العربيّ آنذاك لظواهر الوجود، فتأسست هذه الألفاظ على مقدار درجات مدلولاتها وتفاعل الجاهليّ مع الزّمن الطبيعيّ الذي يجد صدى دقّته في معاني هذه الألفاظ، التي تدلُّ على أن إحساسه كان مُرهفًا، فضلاً عن دقته في توخي مراميه منها، وهي بذلك تتجاوز معجميتها فتناظر وتستجلي الحالة الشعوريّة فتتسع دلالتها بمقدار ما يُفرغ الشاعر فيها من قابليته الإبداعية وامتلاكه لأدواته اللّغويّة، كما أنَّ المستوى المُعجمي للألفاظ، هو مستوىً أوّلي للمعنى ضمن الشّكل الشّعري الذي يرتفع بها نحو آفاق اللمح؛ وعليه فالألفاظ تكون ضمن منظومة هذا الوعي المنبثق من شعور الشّاعر بصفته مبدعًا وابن بيئته، وذلك أثر السّياق.

الكلمات الدالة: ألفاظ الزّمن، الدّلالة، السّياق، أشعار الشّعراء الستة الجاهليين.

(1) كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الشارقة (الشارقة - الإمارات العربية المتحدة)
hano6565@yahoo.com

(2) كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الشارقة (الشارقة - الإمارات العربية المتحدة)

المقدمة:

المنهج الوصفي التحليلي هو الذي تبنّاه الدّارس لموضوع ألفاظ الزّمن في كتاب (شرح الأشعار السّتة الجاهلية) للوزير أبي بكر البطليوسي « دراسة دلاليّة و سياقيّة»، فتلك الدراسة، ما هي إلا مقاربة لذات الشّاعر الجاهليّ بالإنصات إلى هواجسه الزّمنية التّي تتجلّى أشكالُها على صفحات شعره إبداعًا، ثمَّ تتبّع الدّلالة المعجميّة التي ينتظمها السّياق لمعظم ألفاظ الزّمن المباشرة وغير المباشرة (الملمحة بالزّمن)، وأثر هذا الانتقال في الدّلالة سَعةً؛ إذ من خلالها تنتجُ صور معاناة الذّات الشّاعرة مع الزّمن، وما يتجلى عنها من نظرة تجاه أنفسهم والآخرين مُغلفة بتلك المشاعر الزّمنيّة، إما تستلهمها ذواتهم من ظواهر الحياة أوتأتيها عفوًا، أوعن طريق معالم الزّمن الطّبيعي الذّي تترشح عنه إيحاءات التّجلّي الزّمني بصورٍ شتّى وبالأخص الزّمن النّفسي.

التعريف بالكتاب (ميدان الدّراسة) وشارحه:

اعتنى العلماء والشّراح والدّارسون منذ القدم بالشّعر الجاهليّ، ويرجع سبب هذا الاعتناء؛ لما لهذه الأشعار من مكانة في نفوس العلماء ورجال العربيّة ؛كونها معينَ تاريخ الأمّة، فضلًا عن أنَّ أغلبَها كان شواهدَ لعلوم العربيّة كالنّحو والصّرف والبلاغة ؛ فكثُرت اَلشّروح والاقتباسات؛ ممّا جعلها تحظى بهذه المنزلة، ومن تلك الشّروح(شرح الأشعار السّتّة الجاهليّة)، للوزير أبي بكر عاصم بن أيّوب البطليوسي(ت494 هـ) وهو من الأندلس (وكانَ من أهل المعرفةِ بالآدابِ واللُّغاتِ، ضابطًا لهما، مع خير وفَضْل، وثقةٍ فيما رَوَاه... وتوفي رحمه الله سنةَ أربع و تسعينَ وأربع مئة.)(ابن بَشكَوال، أبو القاسم: الصّلة 2 / 7) وجمعها قبله الأعلم الشّنتمري(ت 476 هـ) في كتابه (أشعار الشّعراء السّتة الجاهليين) الذي ذكر سبب انتخاب هؤلاء السّتة بقوله :(وهؤلاء الشّعراء هُم أظهر من يستشهد بشعرهم في الأدب واللّغة وعلوم العربية وفنون البيان)(الشنتمري،الأعلم: أشعار الشّعراء السّتة الجاهليين، 1 / 4) و كان البطليوسي يورد نبذة عن الشّاعر، ثمَّ يبدأ بالقصيدة الأولى التي اشتهر بها ويشرح ألفاظها شرحًا معجميًّا، ثم يذكر مضمون البيت بقوله: إنّه يقول كذا وكذا، وقد يذكر مناسبة القصيدة، وهذا منهجه مع كل قصيدة، وهي طريقة تعليمية يُثبتها البطليوسي نفسه؛ إذ قال في تقديم هذه الأشعار: إنَّه سُئِل (شرحها وتقريبها، وتلخيصها وتهذيبها، للحاجب مجد الدّولة، أبي بكر محمد بن المتوكّل على الله...وكل ما ذكرته في هذا الشّرح، فمن كتب العلماء أخذته، ومن مكنون أقوالهم استخرجته.)(البطليوسي: شرحُ الأشعار السّتة الجاهلية،1 / 4)،إلّا أنَّ ذلك لم يمنع الدّراسة من الرّجوع في أحايينَ كثيرةٍ لشرح الأعلم الشنتمري، أو غيره من شارحي شعر ما قبل الإسلام، و الشّعراء السّتة هم كالتّالي: امرؤ القيس بن حجر الكندي، النّابغة الذّبياني زياد بن معاويّة، المكنّى بأبي أمامة، وعلقمة الفحل وهو علقمة بن ناشرة بن قيس، وزهير بن أبي سُلمى بن رباح المزني، وعنترة بن شداد العبسي، وطرفة بن العبد سفيان بن سعدٍ بن مالك.

الزّمن لغةً:

المعجم العربيَّ لم يفرّق بين معنى الزَّمَن والزَّمان إلّا في حدود ضيقة، فقد جاء في لسان العرب(الزَّمَنُ والزَّمانُ: اسمٌ لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزَّمَنُ والزَّمانُ العَصْرُ، والجمعُ أَزْمُن وأَزْمَان وأَزْمِنة... وقال شمر: الدَّهرُ والزَّمانُ واحد... والزَّمانُ يقعُ على جميع الدَّهر قال أبو الهيثم: أخطأ شمر، الزَّمانُ زمان الرّطب والفاكهة وزمان الحرّ والبرد، قال: يكون الزَّمان شهرين إلى ستة أشهر... والزَّمَان يقع على الفصل من فصول السّنة، وعلى مدّة ولاية الرّجل وما أشبهه.)(ابن منظور: لسان العرب، مادة: زمن)، وجاء في كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي(ت 453 هـ): (وقد حَكى عن أبي زَيد وأبي عُبَيدة ويونس أنَّ (الدَّهر) و(الزَّمان) و(الزَّمن) و(الحِين) يقعُ على محدودٍ وعلى عمرِ الدُّنيا من أوَّلِها إلى آخِرِها.)(المرزوقي، أبو علي المرزوقي الأصفهاني: كتاب الأزمنة والأمكنة 1، 236/.) أما ابن دُريد (ت 321) فقال: (والزَّمن في معنى الزَّمان) (ابن دريد: جمهرة اللغة، 828.) يوحي هذا القول، كأنَّ لفظة الزّمن بما تحمل من معنى يبقى جزئيًّا؛ ما دامت تنضوي تحت كليّة معنى الزَّمان، ومما يعضّد هذا الاحتمال ماجاء في معجم العين - وهو أول معاجم العربيّة - للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت176هـ) قوله: (الزَّمَنْ: من الزَّمان. والزَّمِنُ: ذو الزَّمانة والفِعْل: زَمِنَ يَزْمَنُ زَمَناً وزَمان، والجمع: الزَّمْنَى في الذَّكر والأنثى. وأَزْمَنَ الشيءُ: طالَ عليه الزَّمان) (الفراهيدي: العين،4 / 375.)، فهذه الاشتقاقات من كلمة زمن ما يُلفت منها ما ابتدأ به الفراهيدي بقوله: (الزَّمَنُ: من الزَّمان) الّتي تدعم احتمالية جزئية مفهوم الزّمن عن الزّمان ويمكن أن نستخلص مما جاء في المعاجم أنَّ الزّمن أو الزّمان لغةً: فترة من الوقت تطول أو تقصر، مع اصطحاب صفة التّجدّد والاستمرارية إلى المستقبل، دون الرّجوع إلى الماضي.

الزّمن اصطلاحًا:

يبقى الإنسان في حدود إمكاناته البشرية قد يتفرّد بمعرفة سِرِّ نفسِه، وقد يتفرّد بالشّعور في زمانه ولكنّه مخلوق لا يستطيع تجاوز مشيمة الزّمن الطبيعي الذي يعيش فيه، كما أن هناك خالقَ كلّ شيء، خالقَ الزّمان والمكان، انتظمَ مصائرَ النّاس بأفعالهم(ومن السّذاجة أن نتصوّر أنَّه لا وجود لشيء فوق الزّمان، فالزّمان ليس إلّا حالة من حالات الأشياء، غير أن هناك حالة تتجاوز الزّمان. وللزّمان دلالة ثنائية بالنسبة للوجود الإنساني، فهو من ناحية نتيجة للنشاط الخلّاق، ومن ناحية أخرى نتيجة للتفسخ والتفكّك: وهو مرادف للخوف والقلق) (برديائف: العزلة والمجتمع، 162.) من هنا يشتط الإنسان الجاهليّ حين يُحيل كلَّ شيء إلى الدّهر (الزّمن) واعتبار الدّهر (الزّمن) النّد الذي يُعجز كلَّ مخلوق تحت سلطته، كما أنَّ (الزّمن يمكن اعتبارة، بمعنى من المعاني، مطلقًا، أي أنَّه لا يمكن تفسيره أو تعريفه بمصطلحات أساسية؛ لأنَّه هو نفسه أحد الوجوه الأوليّة - التي لا يمكن اختزالها - لكلِّ شيء

في حقل التّجربة الإنسانيّة وبالعكس يمكن اعتباره نسبيًّا، أي أن له قيمةً معرفيَّة فقط عندما يُنسب إلى ظواهر محسوسة.)(مندلاو: الزمن والرواية، 161.)، ومن كل ما مرَّ نستخلص أن العلاقة بين الزّمن لغةً والزَّمن اصطلاحاً يلتقيان في مفهوم الزّمن الطبيعيّ، ولا يلتقيان في المفهوم النّفسيّ أوالفلسفيّ أوالزّمن المطلق، وقد تتقارب هذه المفاهيم؛ فتتجلّى أنواع الأزمنة عند الشّاعر الجاهليّ لأنَّ: (مفهوم الزّمن عند الشّاعر الجاهليّ هو مفهوم مزدوج كلياً من (الزَّمن) الذي هو الجزئيات الّصّغيرة من الوقت كاللّحظة والسّاعة واليوم والشّهر...ومن (الزَّمان) الذي هو الامتداد الميتافيزيقيّ الكبير الذي يُقاس بالسّنين والأجيال والعصور... ولا يشعر أكثر النّاس بـ(الزَّمن) الذي يمشي على جثثهم والذي يكوّن (الزّمان)، إنما يشعرون فقط بـ(الزّمان) لوضوح آثاره فيهم وفي غيرهم) (قاسم، باسم إدريس: الشاعر الجاهلي والوجود، 258.)؛ وعليه فليس الزّمن والزّمان واحدًا، وإن لم يُفرّق الكثير من الباحثين (ينظر: طشطوش،عبد العزيز: الزمن في الشعر الجاهلي،1) ممن تناولوا موضوع الزّمن، كما يظهر من الاقتباسات التي اعتمدتها هذه الدّراسة، وقد تناولت الدّراسة دلالات بعض ألفاظ الزّمن التي تأخذ بعدًا دلاليّا أوسع، حين يتضمّنها السّياق عند الشعراء السّتّة الجاهليين، ويمكن القول: إن نظرة العرب للزّمن كانت على قدر مناسب من النّضج فهم يلاحظون الطّبيعة والأنواء، ويسمّون أوقاتهم طبقاً لمقتضياتها (ابن قتيبة : كتاب الأنواء، 3.)،وهم بهذا ليس بدعًا من الأمم؛ طالما الزّمكان هو فضاء الإنسان والطبيعة كلّها.

الدّلالة والسّياق:

ورد في اللّسان: (فلانٌ يُدِلُّ على أقرانه كالبازي يُدِلُّ على صَيدِه.. والدَّلِيلُ: ما يُستدل به. والدَّلِيلُ: الدَّالُّ وقد دَلَّه على الطَّريق يَدُلُّهُ دَلالة ودِلالة و دُلولة، والفتح أعلى)(ابن منظور: لسان العرب، مادة: دلل)، فتناول الدّلالة في تتبع ألفاظ الزّمن في الأشعار السّتة الجاهلية، سيكون من خلال الإحالة من اللّفظة إلى معناها المباشر (المعجمي) أوبنشرها ضمن السّياق، فالدِّلالة: (على ما اصطلح عليه أهل الميزان والأصول العربيّة والمناظرة أن يكون الشيء بحالةٍ يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر(التّهانوي، محمد علي:كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 2 / 787)، وبهذا تتسع الدّلالة المعجمية ليدخل التضمّن والاستلزام غيرها مما هو في مباحث الألفاظ ودلالتها، و هذه المصطلحات المنطقية لايُصرّح بها في الدّراسة، ولكنّ الإشارة إليها ستكون ضمنية في معالجة النّصوص الشّعريّة لأشعار الشّعراء السّتة الجاهليين، والدّلالة المعجمية أساسٌ في عملية الفهم ثم التّذوق والإحاطة إذ تنتقل دلالتها من المعجميّة إلى السّياقيّة.

السّياق: ذهبَ ابن فارس أن: (السّين والواو والقاف أصلٌ واحد، وهو حدو الشّيء. يقال: ساقه يسُوقُه سَوقًا) (ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 3 / 117.) وقد دخل مصطلح

السّياق في العصر الحديث إلى أن يكون نظريّة ذات بحوث متقدّمة بمناهج متطوّرة في دراسة المعنى وفق تعدد السياقات، كالسّياق اللغوي، وسياق الحال؛ لأن دراسة معاني الكلمات من خلال السياق، يقتضي تحليلاً للسياقات، والمواقف التي ترد فيها، سواء كانت لغوية أوغير لغوية، فالسياق يخلق قيمة حضورٍ متسعة عن دائرة المعجميّة (ينظر: مندريس: اللغة، 230 - 231.)، كما أن السياق يخلّص الكلمة من تراك الدلالات التي اعتادت الذاكرة أن تجترّها.

الدّراسة:

تنتظم ألفاظ الزّمن المبهم في أربع مجموعات دلاليّة (ينظر: حسام الدين، كريم زكي: الزّمان الدّلالي، 220 - 215): فالمجموعة الأولى: الزّمان، الدَّهر، الأبد. المجموعة الثانية: الحين، الأوان، الحقبة، العصر. المجموعة الثالثة: المدة، الملاوة، الطور، التارة. المجموعة الرابعة: العمر، الأمد، الأجَل، القَرن، الأمة، الطّبقة. ولم تأتِ كلُّ هذه الألفاظ في الأشعار السّتّة الجاهليّة، فيمرّ الدّارس على معظمها ويتوقّف عند أكثرها تداولًا.

المجموعة الأولى: الزَّمان: إنَّ المعجم العربي يوحّد بين لفظتي الزَّمن والزَّمانُ بأنَّهما: (اسمٌ لقليلِ الوقتِ وكثيرِه، ويُجمع على أزمانٍ وأَزْمِنَةٍ وأَزْمُنٍ) (الجوهري: الصّحاح، 499.) كما مرّ في التمهيد، وجاء جَمْعُها على (أزمان) عند النّابغة الذبياني، وهو يصفُ سيوف قَومٍ يمدحهم، وهذا الجمع يوحي بدلالة بعد الماضي ليُكسب هذه السّيوف أصالة، فضلًا عنْ اقتران هذه الأزمان بزمن يوم حليمة، إنها الأزمنة التي جمعت بين الجمال والقتال، وإرث حكائي كانت قد تناقلته الأجيال؛ وإلّا لم يكن هناك مسوّغ للنّابغة أن يذكر تطاول أزمان يوم حليمة لو لم تكن هناك ذاكرة تسترجع هذا الحدث وذلكَ بقوله (البطليوسي: السابق، 1 / 257.)[الطويل]:

تورِّثْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيْمَةٍ إلى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجارِبِ [1]

وجاءت لفظة (أزمان) عند امرئ القيس وهو يقف على الأطلال التي عَفَت (دَرَست) بقوله (البطليوسي: 1 / 148.) [الطويل]:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَعِرْفانِ وَرَسْمٍ عَفَتْ آياتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

(1) حليمة بنت الحارث بن شمر الغساني كانت تطيّب الرجال إذا قاتلوا، وكانت من أجمل النساء أمرها أبوها أن تطيّب مَن يمر عليها من الجند، فمَرَّ بها شابٌّ فلمّا طيَّبَتْهُ تناولها فقبّلها، فصاحت وشكت إلى أبيها: فقالَ لها: اسكتي فما في القوم أجلد منه حينَ فعلَ بك ذلك وتجرَّأ عليكِ، فإنَّه إمَّا أن يُبلي بلاءً حسنًا فأنتِ امرأته، وإمَّا أن يُقتَل فذاكَ أشدُّ عليه مِمَّا تريدين من العقوبة فأبلى الفتى، فرجع فزوَّجهُ إيّاها. ينظر: المصدر نفسه.

كما وردت لفظة الزّمان عند طرفة بن العبد، وهو يشكوه بما فعل في كَرِّه على معالم الدّيار وليس هناك مَن يُوقف سيله الجارف، ولا مَن يتكفّل درءَ رَيْبِه وحوادثه، والملاحظ أنَّ اللّفظة هنا ترادف بدلالتها الدَّهر بشموليّة ريبه وصروفه وذلك بقوله (البطليوسي: 2 /526.) [الطويل]:

فغيَّرن آياتِ الدِّيار على البِلى وليسَ على رَيْبِ الزِّمان كَفِيْلُ

ووردت عنده كذلك لفظة زمن، وهي توحي بسعة تشمل الدّهر الذي يُقسِّمه المهجو (عمرو بن هند) ضمن الزّمن الأوسع بقوله (البطليوسي: 2 / 439.) [الوافر]:

قسَمْتَ الدَّهر فِي زَمَنٍ رَخيٍّ كَذاكَ الحُكْمُ يَقْصِدُ أوْ يَجُورُ

بينما ذكر الشّاعر نفسه لفظة (الزّمن) التي أخذت دلالة وقتٍ محدود من ماضٍ ليس ببعيد حين منع قومُه أعداءَهم رعيَ الخضراء وجعلوهم يرعون اليابس من شجر الحلفاء إذ يقول (البطليوسي: 2 / 504.)[المديد]:

فَفَعَلْنَا ذَاكُــمُ زمنًا ثمَّ دَانَى بَيْنَنَا حِكَمُـــهْ

أمّا زهير بن أبي سلمى فيقف على الدِّيار مسندًا تغيير معالمها إلى لَعِب الزّمان وما توحي لفظة (لَعِبَ) بعشوائية الفعل إذ يقول (البطليوسي،2 / 125.) [الكامل]:

لَعِبَ الزَّمان بِهَا وَغيَّرَها بَعْدِي سَوافِي الْمُوْرِ والقَطْرِ [1]

فلفظتا الزّمان والزّمن وما سيأتي من ألفاظ ذات دلالة مباشرة أوغير مباشرة على الزّمن تكون ـ غالبًا ـ تابعة لهاجس الشّاعر حيالها؛ لذا (غالباً ما لا تعكس اللّغة حقيقة العالم بل اهتمامات النّاس الذين يتكلمونها) (ينظر: بالمر: علم الدلالة، 28.) وعليه يُلاحظ ترادف معانيها عندهم، ولكن تبقى كل لفظة تحمل خصوصيتها مما ليس في الأخرى ككلمة الدّهر.

الدّهر: اختلف أصحاب المعجمات عند مفردة الدّهر بين قائلٍ: إنّه الأبد أوالزّمن الذي لا ينقطع أوالأمد الممدود فالجوهري (ت398هـ) عنده (الدّهر: الزَّمان... ويقال الدّهْرُ: الأبد) (الجوهري: الصحاح، 389.) وابن منظور يُلغي الفصل بين الدّهر والزّمن ويعدّهما شيئاً واحداً (ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: دهر.) أمّا ابن الأثير (ت606هـ) فيقول: (والدَّهْرُ اسمٌ للزَّمان الطَّويل ومُدَّة الحياةِ الدُّنيا) (ابن الأثي: النِّهاية في غريب الحَديثِ والأثَر، 2 / 144.) إذن المعجم يدور مع اللّفظة في محيط الوقت المجرّد، وقد أشار امرؤ القيس إلى هذا المعنى بقوله (البطليوسي: 1 / 162) [الطويل]:

(1) السّوافي: جمع سافية وهي الريح التي تَسفي التُّراب المُورُ: الغبار، سوافي القطر: ما تُمريه الرياح من المطر.

ألا إنَّما الدُّهر لَيَالٍ وَأَعْصُرُ وَلَيْسَ عَلى شَيءٍ قَويْمٍ بِمسْتَمِر

و(كان من شأنِ العرَبِ أن تَذُمَّ الدَّهْرَ وتَسُبَّهُ عند النَّوازِل والحوَادِث ويقولون أبادهم الدَّهر وأصابتهم قوارع الدّهْرِ وحوادِثُه، ويُكْثرنَ ذِكْرَهُ بذلك في أشعارهم.) (المصدر نفسه) وفي موضع آخر يصرّح امرؤ القيس بحزنه ألماً من هذا الدّهر الذي لايؤتمن جانبه، فيقول (امرؤ القيس: ديوان، 309.)[الوافر]:

ألمْ يحْزُنْكِ أَنَّ الدَّهرَ غُوْلُ خَتورُ العهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجالَا [1]

الصّورة التشبيهية البليغة بـ(الغول) محاولة تسمية لما لا يسمّى، ولا يدرك كُنهَ فعلِهِ ومقاصدهِ (ختور العهد) وأيّ عَهْدٍ! إنه عهد وهم الإنسان بالبقاء، وليس على الدّهر أن يلتزمَ به، وما اللّجوء إلى استعارة الغول إلّا محاولة للاستمساك بما يؤسس إيحاءً إلى التهويل، فهو حين يلتهم، يلتهم (الرّجال) بما لهذه اللّفظة من ملمح قوّة ومواجهة؛ ليدلّل الشّاعر على فوقيّة سطوة الدّهر على من بلغوا من الرّجولة والرأي ما لا يجب أن يكونوا لقمة سهلة للحوادث، التي أنضجتهم وعركتهم، فغدوا جديرين بوسم الرّجولة فهم رجالٌ، إنَّه الدّهر الفاجع المستأثر بالأحبة نحو الغياب الذي لارجعة فيه، وكلّ ذلك تمثل عند زهير بن أبي سلمى، وقد أخذت الأبيات الآتية من ديوانه؛ وذلك لتتبع المصداق في النظرة إلى الدّهر عند زهير والاستئناس بها، وذلك في قوله (ثعلب، أبو العباس: شرح شعر زهير بن أبي سلمى، 282.) [الكامل]:

فَاِستَأثَرَ الدَّهْرُ الغَداةَ بِهِم وَالدَّهْرُ يَرْمِينِي وَلَا أَرْمِي

لَوْ كَانَ لِي قِرْناً أُنَاضِلُهُ مِا طَاشَ عِنْدَ حَفيظَةٍ سَهْمِي [2]

أَوْ كَانَ يُعطي النَّصَفَ قُلْتُ لَهُ أَحْرَزْتَ قِسْمَكَ فَالِهُ عَنْ قِسْمِي [3]

يا دَهْرُ قَدْ أَكثَرتَ فَجعَتَنا بِسَراتِنَا وَقَرَعْتَ فِي العَظْمِ [4]

وَسَلَبتَنا مَا لَسْتَ مُعقِبَهُ يا دَهْرُ مَا أَنْصَفْتَ فِي الحُكْمِ [5]

(1) غول: فاسد، ختور: غدور.
(2) القرن: ما يقاوم في قتال، الحفيظة: الحمية والغضب.
(3) النَّصَف: العدل والنَّصَفة.
(4) السّراة: الأشراف.
(5) ما لستَ معقبه أي: مَن لستَ تجود بمثله.

الشّاعر كأنه يريد أن يُبيّن مدى حرص الدّهر في لفظة (استأثر) بالّذين يحبهم في أن يتتبّع وجودهم فيُطفِئه، فالأثَرة مذمومة وتلك عادة الدّهر باعتقاد الشّاعر إنّه يبخل على الأحبَّة بأحبَّتهم، وهذا تهديد لوجود الشاعر نفسه؛ إذ تتمثّل أمامه انقطاعات أزمنة أحبته، وعليه فإن الموت يترصّده، فالبارز هو الشّعور بالزّمن في حال انقضائه أو سيره للانتهاء بوقف إمكانية الحياة، فالزّمن هنا صاحب النّصيب الأوفى في استغراق الذّات فيه قلقا، ولكنَّ المختبئَ هو الموت (من أجل أنَّ الموت يمكن أن يظل، في صلب الكلام على مضي الوقت، وراء غطاء، فإنَّ الزمان يبرز وكأنَّه مضيٌّ في ذاته) (هيدغر، مارتن: الكينونة والزمان، 723.) إذ لا يكف عن التقدّم في إنقاص العمر، فهو يتولّد على حساب النقصان، إنّه مستقبلٌ يمضي وهذا الفكرة وصلت إلى شاعرنا وهو يستشرف مآل واقع موت الآخر، وما يضفيه على ذاته من قلق، وهذا القلق يبرز من خلال انتقاله من الغائب (بهم) إلى المتكلّم (يرميني ولا أرمي) وهذا التجلّي للقلق الزّمني في بيتٍ واحد، ما إن ذكِرَ اسْتَثْثار الدَّهر(الموت) بهم، حتّى ذُكِرَ بالمقابل عجزه أمام رام يُصمي، والعجز هنا عجزٌ ذاتيّ فليست من قوّة بشريّة ممكنة تقف بوجه الدّهر(الزّمن)؛ إذ يسلب ما لا يجود بمثلهم في المستقبل فهم تركوا فراغًا في نظره، هذا الفراغ زمنٌ خاوي المحتوى:(وقد أبرزَ خطاب الشّعراء للدّهر بعدًا ينسَجِم مع موقِفِهم من الدَّهْر الذي كان لا يخرج عن كونه عدوًّا لهم، ومما هو لافت للنَّظر، أن حديث الشُّعراء الجاهليين مع الدَّهر يرتبط بموقفهم الشّمولي من الزَّمن... وهذا الأسلوب في الخطاب يكشف عن ذروة التّأزّم أو لحظة انفجار الانفعال الذي يعيشه الشّاعر)(ربابعة، موسى: تشكيل الخطاب الشّعري، 28.)، إذن دلالة الدّهر عند زهير بن أبي سلمى، دلالة الفاعلية في الوجود، والقوة المعزَّزة بالسّطوة.

الأبد: جاء أنَّ (الأبَد: الدَّهر، والجمع آباد وأُبود...والأبَدُ: الدائم. والتأبيد التخليد) (ابن منظور: لسان العرب مادة: أبَد.) والأبد هو (دوام الوجود في المستقبل، كما أنَّ الأزل دوام الوجود في الماضي)(التّهانوي، محمدعلي: كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم،1 / 84.)، المرزوقي في الأمكنة والأزمنة قال: (قولك أبد الآباد كقولك دهر الدّهور... ومن أمثالهم أتى أبدٌ على لبد للشيء وقد مضى وانقطع ولبد اسم لنسر لقمان) (المرزوقي: كتاب الأزمنة والأمكنة،1 / 291.) ولكن في بيت النّابغة الذّبياني حين وردت كلمة (الأبد) في مطلع داليته الذي قال فيه (البطليوسي:1 / 214.) [البسيط]:

يَا دارَ مَيَّة بِالعَلْياءِ فالسَّنَدِ أقْوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ (1)

(1) ميّة: اسم امرأة، العلياء: مكان مرتفع السند: سند الجبل ارتفاعه حيث يُسند فيه أي يُصعد، أقوت: خَلَتْ، السالف: الماضي، الأبد الدَّهر والجمع آباد.

دلالـة انقطاعيـة فيهـا توجّـع، إذ اسـتعمل أسـلوب الانتقـال بالخطـاب مـن الحاضـر (يَـا دَارَ ميّـة) إلـى الغائِـب (أقـوَتْ وَطـالَ عليهـا) اتسـاعاً ومجـازاً (ينظـر: البطليوسـي:1 / 214، شـرح البيـت.) ممـا يُعطـي وقعًـا فـي نفـس المتلقّـي أنَّ الشـطر الأول صرخـة الـذّات نحـو الخـارج.

مـن المجموعـة الثانيـة: الحيـن: ورد فـي لسـان العـرب (الحِينُ: الدُّهـر، وقيـل: وقـت مـن الدّهـر مبهـم يصلـح لجميـع الأزمـان كلهـا، طالـت أو قَصُـرَتْ، يكـون سـنة أو أكثـر مـن ذلـك، وخـصَّ بعضهـم بـه أربعيـن سـنة أو سـبع سـنين أو سـنتين أو سـتة أشـهر أوشـهرين. .. والحيـن المُـدَّة ومِنـهُ قولـه تعالـى: «هَـلْ أَتَـى عَلَـى الْإِنْسَـانِ حِيْـنٌ مِـنَ الدَّهْـر»... ويجمـع علـى الأحيـان، ثـم تجمـع الأحْيـانُ علـى أَحاييـنَ وقـالَ الأزهـري وجميـع مـن شـاهدته مـن أهـل اللّغـة يذهـب إلـى أنَّ الحِيـنَ اسمٌ كالوقـت يصلـح لجميـع الأزمـان.) (ابـن منظـور: لسـان العـرب مـادة: حيـن.) والفعـل منـه حـان قَـربَ، وغالبـا مـا يصاحـب هـذا الفعـل توتّـر الشّـاعر بدنـو فـراق، أوحلـول لحظـة وداع كقـول النّابغـة الذّبيانـي (البطليوسـي: 1 / 316.) [الكامـل]:

حَانَ الرَّحِيلُ وَلَمْ تُودِّع مَهْدَرًا وَالصُّبْحُ وَالإمْسَاءُ مِنْها مَوعدي [1]

الحقبة:

وردت مـادة (حقـب) فـي المعجـم العربـي وهـي غالبًـا تحملُ دلالـة الشّـدِّ أوالعُسْـر أوالاحتباس والانقطـاع، قـال ابـن فـارس: (الحـاء والقـاف والبـاء أصـلٌ واحـد، وهـو يـدلُّ علـى الحبـس... فأمّـا الزّمـان فهـو حِقْبـة والجمـع حِقَـب والحُقْـبُ ثمانـون عامـاً، والجمـع أحقـاب) (ابـن فـارس: معجـم مقاييـس اللغـة، 2 / 89.): (الحَقْـبُ: حَبْـلٌ تشـدُّ بـه الرّحـل فـي بطـن البعيـر. وحَقِـبَ: تعسَّـر عليـه البـول. .. وحَقِبَـت السَّـماء حَقَبًـا: إذا لـم تمطـر وحَقِـبَ المطـرُ حَقبـاً: احتبـس.. وحَقِـبَ نائـلُ فـلان: إذا قـلَّ وانقطـعَ وقـالَ الفـرّاء فـي قولـه تعالـى: «لَابِثِيـنَ فيهـا أَحْقَابًـا»، قـال: الحُقْـبُ ثمانون سـنة... وليـس هـذا ممـا يـدلُّ علـى غايـة، كمـا يظـنُّ بعـضُ النّـاس والمعنـى أنّهـم يلبثـون فيهـا أحقابًـا كلّمـا مضـى حُقْـبٌ تَبِعَـهُ آخـر) (ابـن منظـور لسـان العـرب، مـادة: حقـب.)، وعنـد الرّاغـب الأصفهانـي (ت 425 هـ) (والصّحيـح أنَّ الحِقْبَـة مـدَّةٌ مـن الزّمـان مبهمـةٌ)(الرّاغـب الأصفهانـي: مفـردات، 248.)، وعنـدَ أبـي هـلال العسـكري (الحِقْبـة اسـمٌ للسَّـنة، إلا أنَّهـا تُفيـد غيـر مـا تفيـدهُ السَّـنة، وذلـك أنَّ السَّـنة تفيـد أنهـا جمـع شـهور والحِقْبـة، وهـي ضَـربٌ مـن الظـروف تُتَّخَـذ مـن الأُدُم يجعـل الرّاكـب فيهـا متاعـه، وتشـد خلـفَ رَحْلِـه أو سَـرجِه.) (العسـكري: الفـروق اللغويّـة، 272 - 273).

(1) حانَ: قَرُبَ، مهدر: اسم جارية.

وقد لوحظ أن الشّارح لكتاب (شرح الأشعار السّتة الجاهليّة) أبا بكر البطليوسي، مرةً يُفسِّر كلمة (حِقْبَة) على أنّها مُدَّة غير مؤقَّتة ومرةً أخرى يحدّدها بالسّنة، ويظن الدّارس أن ذلك متأتٍّ من إحساس الشّارح بإيحاء الكلمة ضمن سياق البيت أو القصيدة، وأمّا ما مرّ من الشّواهد على الكلمة، فكان يفسُّرها بالمدّة غير المؤقتة، أمَّا في بيتٍ لمطلع قصيدةٍ عندّ زهير بن أبي سُلمى يقول فيه (البطليوسي، 2162.) [الوافر]:

لِمَنْ طَلَلٌ بِرامَةَ لَا يَرِيمُ عَفَا وَخَلا لَهُ حُقُبٌ قَدِيمُ (1)

فإنّما يفسّر الحِقْبَة بالسَّنة والحِقَبُ بالسّنين، وفي ذلك دلالة على قوّة التغيير رغم طول الحقب التي مرّت عليه فهو (لا يريم) ثابت، وتبيّن مما يُلاحظ على تداول هذه الكلمة (حقبة) بين الشّعراء حملت الدّلالة على الزَّمن المبهم مع ما أشارت إليه المعاجم اللّغوية أنَّ هذه المادة (حقب) تحمل معانِيَ الانقطاع عن الشّيء أو الاحتباس عنه، وكذلك حملت مدى تقدير الشّاعر للزّمن الماضي ومقدار الشّعور بثقله أو مقدار فاعليته التغييريّة مما يعطي اللفظة دلالة سياقيّة أخرى تصطبغ بمقدار المبالغة.

العَصْر: هو: (العَصْر والعِصْر والعُصُر؛ الأخيرة عن اللّحياني: الدُّهر. قالَ الله تعالى: «والعَصْرِ إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْر»؛ قال الفرّاء: العَصْر الدّهر... والجمع أَعْصُرٌ وأعْصَارٌ وُصُرٌ وعُصُورٌ. والعَصْر: العشي إلى احمرارالشمس.) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: عصر) ووردت كلمة (عصر) وتدلُّ على الدَّهر؛ إذ شملت العام الذي نابته فيه المصائب، وذلك في قوله (البطليوسي: 2 / 461.) [الرمل]:

ذَاكَ عَصْرٌ وَعَدَانِي أَنَّني نَابَنِي العامَ خُطُوبٌ غَيْرُ سِرْ (2)

من المجموعة الثالثة: الطَّور والتَّارة: لقد جاءَ أنَّ: (الطور التَّارةُ، تقول: طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ أي تارةً بعد تارة، والطّور: الحال) (ابن منظور: لسان العرب، مادة طور.). قال النّابغة الذّبياني وهو يعاني وجع وعيد النّعمان فكان ليله كمن لدغته أفعى ذات سُمٍّ ناقع، وحاول المعالجون من سوء سمّها فهي لا تستجيب لهم، إذ يقول (البطليوسي: 1 / 242.) [الطويل]:

تَنَاذَرَها الرَّاقونَ مِنْ سُوْءِ سُمِّها تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وطَوْرًا تُرَاجِعُ

ووردت هذه اللفظة عند طرفة بن العبد، إذ يقول (البطليوسي: 2 / 379.) [الطويل]:

عَدْوَلِيَّةٌ أوْ مِنْ سَفينِ ابْنِ يَامِنٍ يَجُورُ بِها الملّاح طورًا وَيَهْتَدِي

(1) رامة: أرضٌ، عفا: دَرَسَ، خلا: مضى، حُقُبٌ: دَهرٌ جمعه أحقاب ويروى حِقَبٌ جمع حِقْبة وهي السّنة.
(2) العَصْر: الدّهر، عَدَاني: شغلني، نابني: حضرني، الخطوب: الأمور الشّداد، سِرْ: ظاهرة ليست ممَّا يُكتَم.

المجموعة الرابعة: ألفاظ الزّمن المحدد: وهي أربع مجموعات، المجموعة الأولى وتضمُّ ألفاظ: السَّنة والعام والحول والحجة والحقبة. السَّنة: تتشكّل دلالة السّنة عند العرب على حسب ما ترفدها المواسم بطابع ما: (وكل موسم من مواسم السّنة له شأنُه في المرعى والانتجاع وطلب الماء أوالتجارة أوالأمان، ولهذا وجدت أسماء المواسم والفصول جميعًا ووجدت معها ثلاثة أسماء مختلفة الدّلالة للدورة حول الشّمس في مصطلح الفلكيين: فهي السّنة. وهي العام. وهي الحول. ولكل منها موضعه في التعبير) (العقاد، عباس محمود: الزمن في اللغة العربية، مقال. مجلة الأديب، ع 6، 2.) أي في السّياق، وقد جاء في لسان العرب: (والسَّنَةُ من الزَّمَن والجمع سَنَواتٌ وسِنُونَ وَسَنَهَاتٌ... وأصابتهم السَّنَةُ: يعنونَ به السَّنَةَ المُجْدِبة... وأرْضٌ سَنَةٌ: مُجدِبَةٌ، على التشبيه بالسَّنة مِنَ الزَّمان) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: سنا.) وزهير ذكر السّنين وعددها في حالةٍ من الرّجاء والخوف فلا هي ذات حلاوة فيطمع بها ولا هي ذات مرارةٍ فييأس منها، وذلك بقوله (البطليوسي: 2 / 32.) [الطويل]:

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَى سِنِيْنَ ثَمَانِيَا عَلَى صِيْرِ أَمْرٍ مَا يَمُرُّ وَمَا يَحْلُو [1]

كما أنَّ السّنة ذات القحط تكتسب لونا شاحبا مُصفرًّا وكأنَّها مريضة فتكون شهباء تنأى عن ألوان خِصْبِ الرَّبيع، يقول زهير (البطليوسي: 2 / 42.) [الطويل]:

إذا السَّنَةُ الشَّهْبَاْءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ وَنَالَ كِرَام المَالِ فِي الحَجْرَةِ الأَكْلُ

العام: ورد في اللّسان: (العامُ: الحَوْلُ يأتي على شَتْوَة وصَيْفَة، والجمع أَعْوَامٌ، لا يُكَسَّر على غير ذلك، وعامٌ أعوَم على المبالغة. قال ابن سيده وأراه في الجَدب، كأنَّه طالَ عليهم لجدبه وامتناع خِصبه.) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: عوم.) وسُمِّيَت:(السَّنَةُ عَامًا لِعَوْمِ الشَّمسِ فِي جَمِيْعِ بُرُوْجِهَا.) (الراغب الأصفهاني: مفردات، 598.مادة عوم)، ويرى أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) أنَّ السّنة أطول من العام (ينظر العسكري: الفروق اللغوية، 271.) والنّابغة الذّبياني، إذ يذكر الأعوام التي مرّت وهي ستة والعام الذي هوفيه، فإنّما هي مبالغة في النّظر والاستدلال بالعلامات الممحوّة على معرفة أطلال الأحبّة أومبالغة لشدة وقع الفراق، إن لم تكن على حقيقة الحال، فيقول (البطليوسي: 1 / 237.) [الطويل]:

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَها فَعَرفْتُها لستَّةِ أَعْوَامٍ، وَ ذَا العَامُ سَابِعُ[2]

(1) صيرُ كلِّ شيءٍ: منتهاه.
(2) الآيات: العلامات، وهي جمع آية وهو مايُستدل به على الدَّار، واللام في قوله: لستة أعوام بمعنى بعد.

فالزمن الذي مرّ على النابغة بهذه الأعوام السّبعة ليست من الزّمن الذي يسرُّه، واستعمل زهير بن أبي سُلمى وهو يمدح هرم بن سنان، العامَ للرّخاء بالعطاء من الممدوح، فيُظهِرهُ مُمرِعَ الأعوام في النّاس، ويلوذ به الغنيُّ والفقير، فهو لا يبخل، وللفقير عُذرٌ في اللّياذ، أمَّا الغني، فقدَ جاء به الشّاعر ليثبت أن هرمًا كريمٌ لا يأنَف من عطائهِ أحدٌ، ويُعين على شدّة الزّمان الّتي ليست بمنأى عن فقيرٍ ولا غنيٍّ، وذلك بقوله (البطليوسي: 2 / 164) [الوافر]:

وهُوَ غَيْثٌ لَنَا فِي كُلِّ عَامٍ يَلُوْذُ فِيْهِ المخَوَّلُ وَالعَدِيْمُ [1]

ولعلَّ دلالة لفظةِ العام لها خصوصيّة في الاستعمال القرآني؛ بأنَّ العام للرّخاء والخِصب، والسَّنة للشدّة والقحط، إذ قال الرّاغب الأصفهاني: (العامُ كالسَّنَةِ، لكن كثِيراً مَا تُستَعْمَلُ السَّنَةُ في الحَوْلِ الّذي يكُونُ فيه الشِّدَّةُ والجَدْبُ، وَلهذا يُعَبَّر عَن الجَدْبِ بالسَّنَةِ، والعام بما فيه من الرَّخاءِ والخِصبُ) (الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، 598. مادة: عوم.) ولكن في الشّعر الجاهليّ لم يكن الأمر كذلك؛ فهذا قول طرفة بن العبد (البطليوسي: 2 / 461) [الرمل]:

ذَاكَ عَصْرٌ وَعَدَانِي أَنَّنِي نَابَنِي العَامَ خُطوبٌ غَيْرُ سِرْ [2]

الحَوْل: قال الرّاغب الأصفهاني: إنَّ: (أَصْلَ الحَوْلِ تَغيُّرُ الشِّيء وانْفِصَالُهُ عن غَيْرِهِ وبوصفه التَّغَيُّرِ قيلَ: حالَ الشيءُ يحولُ حؤولًا... حالتِ السَّنَةُ تَحُوْلُ، وحَالَت الدَّار: تَغَيَّرَتْ، وأحالتِ وأحْوَلَت: أتَى عَليْ الحَوْلُ.) (الرّاغب الأصفهاني: مفردات: 266 - 267.) ويقال: (حالَ عَلَيْهِ الحَوْلُ أي: مرَّ، وحالتِ الدَّارُ، وحَالَ الغلامُ: أي أتى عليه حَوْلٌ.. وحَالَ لَوْنُهُ أي: تَغَيَّرَ وَاسْوَدَّ.) (الجوهري: الصحاح، 295، مادة: حول) ووصفَ امرؤ القيس الصّبيَّ الذي أشغَلَ ضَجِيعَتَه عنه بالمُغيل وفي رواية بالمحوِل في قوله (البطليوسي: 1 / 34.) [الطويل]:

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعًا فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذي تَمَائِمَ مُغْيَلِ [3]

أما رواية (المحول) فقد جاءت عند الأعلم الشنتمري وهي (الأعلم الشّنتمري: أشعار الشّعراء السّتة الجاهليين، 1 / 31.):

(1) اللّياذ: الاستيجار بالشيء، المخول: الذي لَه خَوَل وهم العبيد، يريد بالمخول الغني والعديم الفقير.
(2) العُصُر: الدَّهْر، عداني: شغلني: نابني حضرني، الخطوب: الأمور الشِّداد واحدها خَطْب، غير سِرْ: ظاهرة ليست مما يُكتَم.
(3) طرقتُ: أتيتُ ليلا، ألهيتُها أشغَلْتُها، التمائم: الكتب التي تعلّق على عنق الصّبي، المغيل: الذي تؤتى أُمُّهُ وهي تُرضِعُهُ، وُروى محول: وهو الذي أتى عليه حولٌ وقيل: الصغير وإن لم يكن بَلَغَ حولاً.

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعًا فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذي تَمَائِمَ مُحْوِلِ

الحجّة: وهي: (السَّنةُ، والجمع الحِجَج.. والحُجّة البرهان.) (الجوهري: الصحاح،226، مادة حجج) (فيقال إن الحِجَّة هي القصد إلى الزيارة وليست الإقامة (يُنظر: موقع ألكتروني على شبكة المعلومات، الدكتور فاضل السّامرّائي بتاريخ 2012 / 07 / 04،http://www. startimes.com/?t=30975585)، وعليه فغالبا ما تُذكر الحجّة للسّنة الماضية أو الحجج لماضي السّنين في الشعر الجاهلي، وقد فعلت فعلها السّريع مروراً وكأنَّه زمن قبض الريح، كقول امرئ القيس وهو يصف الأطلال التي سرعان ما صار هذا حالُها كخط كتاب مقدَّس قديم في مصاحف رهبان يحسنون الاحتفاظ بالأثر المكتوب، ولكنّه يحكي عن حجج مضت عليه فأحالته إلى هذه الحال، بقوله (البطليوسي: 1 / 149.)[الطويل]:

أَتَتْ حِجَجٌ بَعْدِي عَلَيْها فأَصْبَحَتْ كَخطِّ زَبُورٍ فِي مَصَاحِفَ رُهْبانِ (1)

المجموعة الثانية: ألفاظ الفصول: الفصول عند العرب أربعة هي: الشّتاء والصّيف والرّبيع والخريف. وهذا التقسيم: (قائم على أساس ملاحظات الإنسان للطبيعة... وعلاقة البرد والحر بحياته وبزرعه وحيوانه.) (علي، جواد، المفصّل، 8 / 440.) وذُكِرَ أنَّ: (بعض العرب يقسم السّنة نصفين: شتاءً وصيفًا، ويبدأ بالشِّتاء لأنه ذَكَرٌ؛ الصّيف أنثى؛ لأنَّ النبات يكون فيه، ثمَّ يقسم الشّتاء نصفين: فيكون الشِّتاء أوَّله، والرَّبيع آخره، ويقسم الصَّيف نصفين، فيجعل الصّيف أوَّله والقيظ آخره.) (ابن قتيبة: الأنواء في مواسم العرب، 104.)؛ لذا يُبتدَأ بالشّتاء كما بدؤوا به.

الشّتاء: ورد في مقاييس اللّغة أنَّ: (الشّين والتاء والحرف المعتل أصلٌ واحد لزمانٍ من الأزمنة، وهو الشِّتاء: خلاف الصّيف. وهي الشَّتْوة... ويقال أشتى القوم، إذا دخلوا في الشِّتاء؛ وشَتَوا، إذا أصابهم الشِّتاء) (ابن فارس: مقاييس اللغة، 245.) كما أنَّ: (العرب تبدأ بالشِّتاء) (المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، 150) وفي هذا الفصل تشتد أزمة الحياة الطبيعية عند العربيّ فيقل خروجه، لما فيه من بردٍ وأمطار، كما تشحُّ الموارد الغذائية، فينبري ذوو الكرم إلى ساحة الجود والعطاء، فزهير بن أبي سُلمى يدعو إلى مجاورة الكرام إذا اشتدَّ الزُّمان والبَرد فيقول (البطليوسي: 2 / 154) [الوافر]:

فَجَاوَرَ مُكْرَمًا حَتَّى إِذَا مَا دَعَاهُ الصَّيفُ وَانْقَطَعَ الشِّتاءُ (2)

(1) الحجج: جمع وهي السنون، الزبور: الكتاب.

(2) الشِّتَاءُ من شَتَوْتُ؛ قالَ تعالى: (رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ) (سورة قريش/ الآية 2.).. إنَّما كانَ الرجلُ يجاورُ ما دامَ الكَلأ رجع إلى أهله، فهو انقطاع الشتاء وقالَ الأصمَعيُّ: إنّما كانوا يطلبون الجوارَ في الشِّتاء إذا اشتدَّ الزَّمانُ والبردُ

ولذلك طرفة بن العبد يفتخر كرمًا بنفسه وقومه، ويخصُّ الشِّتاء؛ لما فيه من شدّة البرد، إذ يقول (البطليوسي: 2 / 465.) [الرّمل]:

نَحْنُ بالمشْتاةِ نَدْعُو الجَفَلَى لَا تَرَى الآدِبَ فِيْنَا يَنْتَقِرْ [1]

الصّيف: جاء في اللّسان: (الصّيْفُ: من الأَزمنة معروف، وجمعُهُ أَصْيَافٌ وصُيُفٌ. ويومٌ صائفٌ أي حارٌّ.) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: صيف.) قال الجوهري: (الصَّيفُ واحد فصول السَّنة، وهو بعد ربيع الأوّل، وقيل: القيظ...والموضع مَصِيْفٌ وأصافَ القومُ دخلوا في الصَّيْف.) (الجوهري: الصحاح، 666، مادة صيف.) وجمع لفظة صيف على مصايف وهي تدلُّ على أزمان الصّيف التي مرّت فمحت معالم الدّيار، وذلك في قوله (البطليوسي: 1 / 236.) [الطويل]:

فَمُجْتَمعُ الأَشْرَاجِ غَيَّرَ رَسْمَهَا مَصايِفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا، ومَرَابِعُ [2]

وطرفة بن العبد وردت لفظة الصّيف في وصفه امرأة بأنّها من رُقَّد الصّيف كناية عمّا ترفل به من التّرف والنّعمة فهي من النّسوة اللواتي يُخدمنَ، فيطول نومهن وذكر الصّيف ربما لأنّه أكثر ما يكون المرءُ فيه كسلًا، بسبب حرارة الجو فيقول (البطليوسي: 2 / 451.) [الرّمل]:

لَا تَلُمْنِي إنَّها مِن نِسْوَةٍ رُقَّدِ الصَّيفِ مَقَالِيتَ نُزُرْ [3]

الرّبيع: فصلٌ تلبس فيه الأرض رداءَها القشِيب، ويتلطّف فيه جوُّ السّماء بالنّسمات العِذاب و:)الرَّبِيْعُ جزء من أجزاء السَّنة فمن العرب من يجعله الفصل الذي يدرك فيه الثمار وهو الخريف ثم فصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف وهو الوقت الذي يدعوه العامة الرَّبِيْع.. ورَبِيعٌ رَابِعٌ: مُخْصِبٌ على المبالغة، وربما سُميَ الكَلأُ والغَيْثُ رَبِيْعًا. والرَّبيعُ أيضًا: المطرُ الذي يكون فيه الرَّبيع. ..وأربَعَ القومُ: دخلوا في الرَّبيع، وقيل: أرْبعوا صاروا إلى الرّيف والماء. وتَرَبَّع القومُ الموضع. .. ارتبعوه: أقاموا فيه زمَن الرَّبيع.) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: ربع.) والملاحظ أنَّ هناك اضطرابًا في تشخيص الرّبيع، فمنهم مَن يجعلُه تابعا للشّتاء ومنهم مَن يجعله الفصل الذي تدرك فيه الثّمار وهو الخريف؛ ولكن بما أنَّ: (العرب تسمّي المطر في أي وقتٍ سقط ربيعًا) (ابن قتيبة: الأنواء، 118.) هذا يُفسّر لنا أن العربيَّ آنذاك كان متى أنِس بسقوطِ مطرٍ، يكون غيثًا فيُصبح الجوُّ لطيفًا وتزهر

(1) المشتاة: البرد، الجفلى الدّعوة التي تعمُّ، الآدب: الذي يدعو للمأدبة، ينتقِر: يخص ولم يعمّ.
(2) الأشراج: شِعاب ترتفع إلى الجِرار، المصايف: جمع مَصيَف وهو مِن الصّيف، المَرَابِع: جمع مَرْبَع، وهو من الرَّبيع.
(3) المقاليت: جمع مقلاة، وهي التي لا يعيش لها ولد، نُزُر: جمع نَزُور وهي القليلة الأولاد.

الأرض بالنّبات سمّاه ربيعا فكلمة الرّبيع مرتبطة بمرابع ارتياحه، ولكن اتفاق المجتمع العربيّ قديمًا وحديثا أنَّ الرّبيع هو الزّمن الذي يعقب الشِّتاء وتزهر فيه الورود، وفي السَّنةِ ربيعان: الرّبيع الأول والرّبيع الآخر: (سُمِّيا ربيعين لارتباع القوم أي إقامتهم.) (المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، 1 / 277.) وجاءت هذه الدّلالة في أمثلة كثيرة من شعرهم، ذاكرين وواصفين أماكن الارتباع في زمن الرّبيع وهي من دلالات ابتسام الزّمن للناس وحيواناتهم والأرض ونباتها، قال طرفة بن العبد (البطليوسي: 2 / 490.) [الطويل]:

تَرَبَّعُهُ مِرْبَاعُهَا وَمَصِيْفُهَا مِيَاهٌ مِنَ الأشرافِ يُرْمَى بِها الحَجَلْ (1)

والرَّبيع فصلٌ يجودُ بالمطر، فيقول امرؤ القيس (البطليوسي: السابق، 1 / 202.) [الوافر]:

وجادَ لَها الرُّبيع بِوَاقِصاتٍ فَآرامٍ وَجادَ لَهَا الوَلِيُّ (2)

والولي والمولي وهو المطر الذي يأتي بعد الوسمي و -غالبا -يُذكَر هذا المعنى مع مطر الرَّبيع؛ إذ (لاينفع الوسمي إلّا بالوليّ لأنَّ أوّل الوسمي يقع وللحرِّ سلطان، فيجعل النَّبات، وإنْ لم يأتِ الوليُّ، جفَّ. قالوا: وبمطر الوسمي تخصب الأرض.) (ابن قتيبة: الأنواء، 117.) وعند طرفة، ذِكر الرّياض التي يمطرها الوليُّ الناعم وهو في حال وصف ناقته الأمون (القوية النشيطة) ومرتبعها (البطليوسي: 2 / 386.) [الطويل]:

تَرَبَّعَتِ القُفَّيْنِ بالشَّوْلِ ترتعي حَدَائِقَ مَوْلِيٍّ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ (3)

فالرّبيع إذن، دلالة تصطحب الخيرَ والنَّماء، وهطولَ المطر الذي يبرد فيه الجوُّ ويلطُف وتهتزُّ له الأرضُ فتخضرّ وتُمْرِع. والنّابغة الذّبياني في مدحه النَّعمان بن المنذر، إذ كانَ بين الرّجاء والخوف، فيشبهه بمنزلة الرّبيع الذي يُنعش النّاس عطاؤهُ، وهذا ماكان يرجوه منه، وفي الشّطر الثاني يشبهه بالسّيف الذي تتمثّل فيه المنيّة على الأعداء، وهو يخاف أن يكون من الّذين يحسبهم النُّعمان من أعدائه، فيقول (البطليوسي: 1 / 248.) [الطويل]:

وَأَنْتَ رَبِيْعٌ يُنْعِشُ النَّاس سَيْبُهُ وَسَيْفٌ أُعيرَتْه المَنِيَّةُ قاطِعُ

وزهير بن أبي سُلمى يفخَر بشجاعة وكرم قومه، إذ يَنْحَرونَ (أُمَّات الرِّبَاع) بقوله

(1) تربَّعُه: تنزله في الربيع، المِرباعُ: موضع الإقامة في الرَّبيع. والمَصيفُ: مَوْضِعُ الإقامةِ في الصَّيف، الأشراف: في بلاد بني عامر، شرفٌ وشريفٌ جبلا. الحجل: طائر يكثر عند مواضع الماء والخضراء.

(2) جاد: أتى بمطرٍ جواد، واقصات وآرام: موضعان، الولي: المطر الذي يأتي بعد الوسمي.

(3) تربَّعت: أقامت في الرَّبيع، القُفُّ ما ارْتفعَ من الأرض وهنا اسم موضع، الشَّول: الإبل التي ارتفعت ألبانها وشالت أذنابها للّقاح، المولي من العشب: الذي يُنبت بالوَليِّ وهو المطر بعد الوسمي، الأسرَّة: بطون الأودية، أغيد: ناعم.

(البطليوسي: 2 / 178) [الطويل]:

عَلَى رِسْلِكُم إنّا سَنُعدي وراءَكُمْ فَتَمنَعُكُمْ أرْمَاحُنا أوْ سَنُعْذِرُ

وَإلَّا فَإنَّا بِالشَّرَبَةِ وَاللَّوى نُعْقِّرُ أُمَّاتِ الرِّبَاعِ ونُيْسِرُ [1]

والغزوة في الرّبيع تُسمّى ربعيّة أو كتيبة لأنَّ الخيل إذا وجدت ماءً ناقعًا في الأرض يجعلها تواصل الغزو، فيقول النّابغة الذبياني (البطليوسي: 1 / 350.) [الطويل]:

وَكَانَتْ لَهُمْ رَبْعِيَّةٌ يَحْذَرُونَها إذَا خَضْخَضَتْ مَاءُ السَّمَاءِ القَبائِلُ

الخريف: ورد في اللّسان (الخَرِيْفُ: أحد فصول السَّنة، وهي ثلاثة أشْهر من آخر القيظ وأوّل الشِّتاء، وسمي خَرِيْفًا لأنه تُخرَف فيه الثِّمَار أي تُجْتَنَى، والخريف أوّل ما يبدأ من المطر في إقْبَالِ الشِّتاء... ليس الخَرِيفُ في الأصل باسم الفصل، وإنما هو اسم مطر القيظ، ثمَّ سُمي الزمن به.) (ابن منظور: لسان العرب، 9 / 62 - 63. مادة: خرف.) وقد تنزاح اللّفظة بالمجاز السّببي، فثمة ألفاظ تدل على أماكن تُنزَلُ في الخريف لرعي ما ينبتُ مطرُه كقول زهير في امرأة (البطليوسي: السابق، 2 / 114) [البسيط]:

فأسْتَبْدَلَتْ بَعْدَنَا دَاراً يَمَانيَّة تَرْعَى الخَرِيفَ، فَأَدْنَى دَارَها ظَلِمُ [2]

المجموعة الثالثة ألفاظ الشهور: الشَّهر: قال ابن فارس: (شهر: الشين والهاء والراء أصْلٌ صحيح يدلُّ على وضوح في الأمر وإضاءة. من ذلك الشَّهر، وهو في كلام العرب الهِلال، ثمَّ سمِّي كلُّ ثلاثين يومًا باسم الهلال، فقيل شهر.) (ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 222.) قال امرؤ القيس (البطليوسي: 1 / 63.):

وَهَل يَعِمَنْ مَنْ كان أَحْدثُ عهدِه ثَلاثِينَ شهراً في ثَلاثَةِ أحوَالِ

الظاهر أن التفصيل في ذكر العدد لتمديد مدّة معاناة الفراق عن الأحبّة مع استغراقها لتقلّبات الأحوال الثلاث. ولكنَّ علقمة الفحل حدّد شهرًا بصفة، وهو النّاجر بقوله (البطليوسي: 1 / 63.) [الطّويل]:

أَسَعْيَا إلى نَجْرَانَ في شَهْرِ ناجِرٍ حُفَاةً وأَعْيا كُلُّ أَعْيَسَ مِسْفِرِ [3]

(1) الشربة: اسم موضع، أمَّات: جمع أم فيما لا يُعقَل، الرِّبَاع: جمع الرُّبَع وهو مانُتج في الرَّبيع، نُيْسِر: نقامر.

(2) هما طريق الرياض السريع الذي يربط المنطقة الوسطى والمنطقة الشرقية ودول الخليج العربي بالمنطقة الغربية والمنطقة الجنوبية وعلى خط الرياض القديم الذي يربط مدن وقرى الوشم ومنطقة القصيم ودولة الكويت.

(3) ناجر: أشد شهور الحرِّ وهما شهرا ناجر وآجر، الأعْيَس: الأبيض من الإبل، وهو أكرمها، المِسفِر: القويُّ على السَّفَر.

والشّهر النّاجر هو من أشدِّ الشّهور حرًّاو قد جاء في لسان العرب (شهرُ ناجرٍ كلُّ شهرٍ في صَميمِ الحرِّ، فاسْمهُ ناجِر؛ لأنَّ الإبلَ تنجرُ فيهِ أي يَشْتدُّ عَطَشُها حتّى تَيْبَسَ جُلُودُها) (ابن منظور: لسان العرب مادة، مادة نجر)، إذ جمع علقمة مع السّعي إلى الحرب في هذا الزّمن الشّديد أن يكونوا حفاةً وذلك أكثر خفّة وأسرع في التّنقّل، وذكر أنَّهم اقوياءُ على السّفر يركبونَ على كرام الإبل وتلك ولمحة السّياق إلى وضع اللفظة في مكانها المناسب.

المجموعة الرابعة: ألفاظ: اليوم والنّهار والسّاعة وأوقات الفجر والصّباح والبكرة والغدوة والضّحى والظهيرة والعصر، والأصيل، والمغرب والشّفق وأوقات اللّيل مثل المساء، البيات، الرَّواح والعشاء.

اليوم: قالَ ابن فارس (ت 395 هـ): (الياء والواو والميم: كلمة واحدة، هي اليوم: الواحد من الأيام، ثم يستعيرونه في الأمر العظيم ويقولون: نِعْمَ فلانٌ في اليَوم إذا نَزَل.) و(اليومُ: مَعروفٌ مِقْدارُه من طلوع الشّمس إلى غُرُوْبِها، والجمع أيَّامٌ.) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: يوم.) وهذا معناه النّهار فقط بينما عند أبي هلال العسكري (ت 395 هـ) ذاكرًا: (الفرق بين النّهار واليوم: أنَّ النّهار اسمٌ للضياء المنفسح الظاهر.. وليس هو في الحقيقة اسم الوقت، واليوم اسم لمقدار من الأوقات يكونُ فيها هذا السَّنَا... ولهذا يضاف النَّهار إلى اليوم، فيقال: سِرت نهارَ يوم الجمعةِ، ولهذا لا يُقال للغلس والسَّحَر نهار حتى يستضيءِ الجوُّ.) (العسكري: الفروق اللغويّة، 273.) وقد تأتي الدّلالة السّياقية لكلمة (اليوم) وهي تدلُّ على الحاضر كما أن كلمة غَدٍ تأتي للدّلالة على المستقبل القريب والبعيد ونظيره كثير، ويتمثّل ذلك بقول النّابغة وهو يمدح النّعمان بن المنذر (البطليوسي: 1 / 235.) [البسيط]:

يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نافِلَةٍ وَلَا يحولُ عَطاءُ اليَوْمِ دوْنَ غَدِ (1)

والبيت مقترن بما قبله، فـ(يومًا) متعلقة بماذكره في شأن نهر الفرات وعِظَم حاله، وبأنه أكمل مايكون امتلاءً في يوم ما؛ ليصل إلى سيب (عطاء) النّعمان ليجعله أعظَم منه في أي وقت. بينما زهير بن أبي سلمى جعل اليوَمَ غاويًا؛ لما فيه من الشَّر؛ إذ يهدم ملك عشرين سنة للنعمان، فهذا اليوم وصمة تغطي ما للنعمان من أيادٍ بيضاء في مُلكه على مدى عشرين سنة، فيقول زهير (البطليوسي: 2 / 183.) [الطويل]:

فَغَيَّرَ عَنْهُ مُلْكَ عِشْرِيْنَ حِجَّةً مِنَ الدَّهْرِ يَوْمٌ واحِدٌ كانَ غاوِيا (2)

كَثرت لفظة (اليَوْم) في الشّعر الجاهلي وهي مضافة إلى اسم وقعة من وقائعهم الماضية، فالعربي آنذاك معتزٌّ بماضيه فهو تاريخ وانتماء (فإنَّ الزمن الماضي عند

(1) السّيب: العطاء، النافلة: الزيادة.
(2) جعل اليومَ في اللفظِ غاويًا؛ لأنَّهُ يغوي فيه، وهو يوم الشَّر. يريد أن يوما واحدا هَدَمَ مُلْكَ عِشرِيْنَ حِجَّة.

أبنـاء البادية العربيـة فـي كلِّ عهدٍ مـن عهودهـم، لأنّـه مستودع المفاخـر والأنسـاب والثـارات والسّـوابق والذكريـات. وليـس مـن المصادفـة أن يسـمّى التاريـخ هنـا باسـم الأيـام. وأن يعـرف لـكلِ يـوم أثـره فيمـا كان وفيمـا يكـون.) (العقـاد: الزمـن فـي اللغـة، مقـال، 2.)، أي أن اليـوم يأتـي متعلّقـا بحـادث الواقعـة كـ(يـوم تحـلاق اللّمـم) الـذي كان يـوم غلبـة لبنـي بكـر علـى بنـي تغلـب، إذ كانـت الأخيـرة مستعلية علـى بكـر بالسّـلم والحـرب، والحـارث بـن عُبـاد هـو مَـن أشـار علـى بنـي بكـر بحلـق رؤوسـهم؛ لينمـاز البكـري عـن التّغلبـي، فكانـت وقعـة عظيمـة وأخرجـوا النِّسـاء، ودفعـوا إليهـن العصـيّ، وأمروهـنَّ إذا مـررن بجريـح محلـوق يسـقينه مـاءً، وإذا مـررنَ بجريـح غيـر محلـوق يضربنـه بالعصـيّ حتـى يقتلنـه، فقـال طرفـة مفاخِـرًا بذلـك اليـوم (البطليوسـي: 2 / 479.) [الرّمـل]:

سَائِلُوْاعَنَّا الَّذي يَعْرِفُنا بِقِوَانَا يَوْمَ تَحْلَاقِ اللَّمَمْ (1)

كمـا أنَّ طرفـة يجعـل (يـوم الدَّجـنِ) قصيـرًا بمـا يشـغلهُ مـن زمـن اللّـذة، وذلـك بجمعـه المـكان والزمـن؛ ليمتلـئ باللّحظـة الحاضـرة، وذلـك بقولـه (البطليوسـي: 2 / 409.) [الطويـل]:

وامـرؤ القيـس يصـف اليـومَ -غالبًـا -بالصّالـح فـي حالتيـن: إمَّـا نيـلُ وطـرٍ مـن حسـناء، أو نيـل مـرادٍ واشـتفاءٍ مـن أعـداء، كقولـه (البطليوسـي: 1 / 32.) [الطويـل]:

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلَا سِيَّمَا يَوْمٌ بدارةَ جُلْجُلِ

وقوله (البطليوسي: 1 / 66.) [الطويل]:

وَيا رُبَّ يَوْمٍ قَد لَهَوْتُ ولَيْلَةٍ بِآنِسَةٍ كَأَنَّهَا خَطُّ تِمْثَالِ (2)

وقوله (البطليوسي: 1 / 33.) [الطويل]:

ويوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي (3)

وهنـاك التفاتـة فـي البيـت السـابق إذ (لـه دلالـة منطوقـة ظاهـرة، ودلالـة مفهومـة ربمـا كانـت هـي الأهـم، لأنـه حيـن يقـول إنهـا تعـذّرت يَوْمـاً ويقيّـد التَّعـذُّر بيـوم يعنـي بدلالـة المفهـوم أنهـا لـم تتعـذَّر عليـه أيَّامـا) (أبـو موسـى، محمـد: الشّـعر الجاهلـيّ دراسـةً فـي منـازع الشـعراء،54.) وهنـاك يـومٌ آخـر تعـذّرت عليـه فاطمـة وحلفـت لتمنعنّـه عنهـا وذلـك بقولـه (البطليوسـي: 1 / 35.) [الطويـل]:

(1) التَّحْلاق: الحلْقُ، اللمم: جمع لمّة.

(2) اللّهو: الاشتغال بالطرب. يقال لهوت والتهيت، الآنسة: المرأة التي يؤنسك حديثُها، خط تمثال: أي نقش تمثال، المثال: المقدار.

(3) الخدر: الهودج، عنيزة: اسم امرأة، إنَّك مرجلي: أي أخاف أن تَعقِرَ بعيري فتحوجني أن أمشي راجلة.

ويومًا عَلَى ظَهْرِ الكَثِيبِ تَعَذَّرت عَلَيَّ وآلَتْ حِلْفَةً لَمْ تَحْلُلِ [1]

وكل هذه الأيّام فيها معالجة لذيذة، يناور فيها عشيقاته وظروف زمنيّة لها دلالة أثَرَة الغريزة، التي بشكلٍ ما يؤسس تذكّرها نعيًا لأيّام خَلَت، وهنَّ صالحات؛ بما يجد فيهنَّ ذاتَه المعشوقة؛ لذا يحملنَ دلالة زمن وَجْده وحبِّه النّساء.

النَّهار: وهو وقت الظّهور، ظهور الأشياء بوضوح، والنَّهار (ضِيَاءٌ ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشَّمس وقيل: من طلوع الشَّمس إلى غروبها.) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: نهر) وقالَ الجوهريُّ: (النَّهارُ: ضد اللّيل، ولا يُجمع كما لا يجمع العَذابُ والسَّرابُ، فإن جمعتَه قلتَ في قليله: نُهُرٌ، مثل سحابٍ وسُحُبٍ) (الجوهري: الصحاح، 1172، مادة نهر.). ففي النَّهار يشتد الحرُّ، ولكنَّ ناقة امرئ القيس الّتي تدفع وتسلّي همّه، تلك الجسرة (القوية النشيطة) والذّمول (السّريعة) عند قيام قائم الظّهيرة واشتداد الحرّ (صام النَّهار وهجّرا) رغم فتور الإبل في مثل هذا الوقت، وذلك بقوله (البطليوسي:1 / 116.) [الطويل]:

فَدَعْ ذَا وَسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

ورد في لسان العرب (صامَ النَّهارُ صَوْمًا إذا اعْتَدلَ وقامَ قائِمُ الظهيرة... وصامَت الشُّمس عند انتصاف النَّهار إذا قامَتْ ولم تبرح مكانَها.) (ابن منظور : مادة : صوم.) وبهذا فدلالة صوم النَّهار هو وقت شدّته، والشّاعر لعلّه رَمَزَ إلى همومه التي اشْتدّت، كاشتدادِ هذا الوقت بالهاجرة، فيجتازها بتلك النّاقة القويّة الصّابرة على الشّدائد.

السَّاعة: وتكون السّاعة على (معنيين أحدهما أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرينَ جزءاً وهي مجموع اليوم واللّيلة، والثاني أن تكون عبارة عن جزء قليل من النّهار أو اللّيل، يقال: جلستُ عندك ساعة من النَّهار أي وقتاً قليلاً منه) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: سوع.) ولعلَّ هذا المعنى الأخير هو الذي قصد إليه طرفة بن العبد إذ يقول (البطليوسي: 2 / 441 - 442.) [الطويل]:

قِفي وَدِّعِينَا اليَوْمَ يَا ابْنَةَ مالِكٍ وعُوجِي عَلَينا مِن صُدورِ جِمالِكِ [2]

قفي لا يكنْ هذا تعلّةَ ساعَةٍ لِبَينٍ، ولا ذا حَظّنا مِنْ نَوالِكِ [3]

(1) الكثيب: جبل من رمل، تعذّرت: تصعّبت، آلت: حلَفت.
(2) البين: الفراق، عوجي: اعطفي.
(3) تَعِلّة: عِلّة، الحظ: النَّصيب، النوال: العطاء.

فتكرار(قفي)، إلحاحٌ على لِسان قلبِ المحبِّ وهو يتشبّث قبل الرّحيل للتزوّد من الأحبّة، فمراده أن (لاجعلَ اللهُ هذا الوقوف تَعَلُّلَ ساعةٍ، لأنَّ السَّاعَةَ قَليلٌ، ولا جعلَ هذا حظُّنا من حظُّنا من نوالِكِ) (البطليوسي: 2 / 441 - 442.) السّعة هنا كناية عن زمن قليل، لا يكفي لبثّ الشكوى وطرح الشجون وتبادل الأخبار، فالوداع لحظة اقتلاع، إقبالٌ على زمن الفقد، فلا بدَّ من أن يتملّى الشاعر محبوبته أكثر ويستوقفها لكي لاتكون لحظة هاربة تنزلق من بين يديه.

الصَّباح:

الصّباح: وهو غُرَّة اليوم و(الصُّبْحُ: الفَجْر، والصَّباح نقيض المساء.) (الجوهري: الصحاح،630، مادة: صبح.) وفيه دلالة الكشف والظهور، وقد تمثّل هذا الوقت بأمثلة كثيرة من عند الشعراء السّتة فمرّة تجديدُ عزم أو نذير همٍّ، وأخرى انكشافُ غمٍّ وتباشير وانفراج، وقد يطلع الصّباح ولكن ليس على خيرٍ، فامرؤ القيس يجعل الصّباح ما إن يشرق حتى تهجم كلاب الصيادَينِ على الثّور، فهي تُصبِّحهُ بالتَّكالُب عليه بعد أن أخذ أنفاسه ليلاً تحت شجرة أرطاة، وفيه دلالة أنَّ هذا الزّمن (الصّباح) زمن تجديد وتفاؤل، فالحيوان ينهض فيه لطلب الكلأ، أو جمع صِغاره، فإذا به أمام هذه الكلاب، أمامَ موته، بقوله (البطليوسي:1 / 176.) [الطويل]:

فصبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوق غُدَيَّةً كِلَابُ ابْنِ مُرٍّ أَو كِلَابُ ابنِ سِنْبَسِ

ولعلَّ الصّباح عند امرئ القيس وإن تمنّى زوالَ اللّيل به، ولكنّه يماثل الهموم التي اجترّها ليلُه فلا جديد، فكَشْفُ الإصباح أي انفلاق ضوء الصَّباح لا يحقق للشاعر معرفة معالم همّه بل تبقى جاثمة تماثل ثقل اللّيل، بقوله (البطليوسي: 1 / 47.) [الطويل]:

أَلَا أيُّها اللَّيل الطّويْلُ أَلَا انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإصْباحُ مِنْكَ بأمْثَلِ

الظهيرة: الظّهيرة: وردَ في لسان العرب: (قولهم الظاهرة من الوِرْدِ: أَنْ تَرِدَ الإبلُ كلّ يوم نِصفَ النَّهار.) (ابن منظور: لسان العرب، مادة ظهر.) وقد قال زهير بن أبي سلمى يصف اختلاط أمر الإماء في ردِّ الجمال لغرض الرّحلة، فطال الأمر لحيرتهم واختلاف رأيه إلى ساعة زوال الشّمس (الظّهيرة) وذلك بقوله (البطليوسي: 2 / 86.) [البسيط]:

رَدَّ القيانُ جِمَالَ الحيِّ فاحتَمَلُوا إلى الظَّهيرةِ أمْرٌ بَيْنَهُم لَبِكُ (1)

فحملت هنا دلالة التأخير وفق سياق الحال؛ لأنّ رحلة الظّعائن كما ترد في أشعارهم ـ غالبًا ـ تبدأ منذ طلوع الفجر إن لم يكن قد زمُّ رحالهم ليلًا، أمّا عند طرفة بن العبد، فيأخذ

(1) القيان جمع قينة وكل أمة قَيْنة، الظيرة: ساعة زوال الشّمس عن كَبد السّماء، اللَّبَك: المختلط.

وقت الظّهر للمبالغة في الهمّ والحزن، بأن يرى المحزونُ النَّجوم في الظّهر (البطليوسي: 2 / 455.) [الرمل]:

إِنْ تُنوِّلْـــهُ فقد تَمْنَعُـــهُ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهُـــرْ [1]

فرؤية النّجوم في الظّهر اتخذت رمزًا للدّلالة على الزّمن الذي يأتي في غير موضعه، أو إشارة إلى سرمديّة الهمّ واستحالة انكشاف اللّيل الذي يُغشّي الظهر؛ فتطلع النّجوم، وفيها إيحاء بأنَّ المصيبة تبدو على صاحبها كغمّة اللّيل فيتحوّل الظهر مع شدة إضاءة الشمس فيه إلى النقيض (اللّيل)الذي من شدّة ظلامه لتبدو نجومه.

اللّيل وأوقاته: المساء، البيات.

اللّيل: ورد في لسان العرب أنّ (اللّيل: عقيب النهار ومَبْدَؤه من غروب الشّمس.. اللّيل ضد النهار واللّيْلُ ظلام الليل والنهارُ الضِّياءُ، فإذا أَفرَدْتَ أحدهما من الآخر قلتَ يومًا وليْلة) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: ليل.) وهناك تقسيمات أخرى لأوقات اللّيل وهي: (خَمْسةُ أجزاء: سُدفَة وشُتفة وجهْمَة ويَعفُور وخُدرَة.) (ينظر: البطليوسي: شرح الأشعار الستة الجاهلية، 2 / 449.) ذكرها البطليوسي وهو يشرح بيتا لطرفة وردت فيه كلمة (يعفور)وهو وقت آخِر اللّيْل بقوله (البطليوسي: السابق، 2 / 449.) [الرمل]:

جَازَتِ البيدَ إلّى أَرْحُلِنا آخِرَ اللَّيلِ بيَعْفورِ خَدِرْ

وعليه فإنَّ: (صُوَر اللّيْلِ والنِّهار في الشّعر الجاهليّ تبدو مواقيت للأحداث أكثر منها تصويرًا للطَّبيعة) (عبد الرحمن، نصرت: الصّورة الفنيّة في الشّعر الجاهليّ، 86.)، فهذا امرؤ القيس تختلف لياليه فهناك (ليل كموجِ البَحْرِ) ثقيلٌ، جاثِمٌ بالهموم على صدره، فهو طويلٌ إلى حدٍّ أن الصّباح يماثله على مستوى الشّعور بإطباق الهمِّ وثباتهِ جثومًا، وكأنَّ نجومَه مشدودةٌ بحبالٍ إلى جبل يَذبُل (البطليوسي: 1 / 48.) ثمَّ صورة الجمل البارك وما فيها من إيحاء بالثّقل، و الملاحظ أن هناك تراكيبَ جاهزة، استخدمها بعض الشعراء السّتة وهم يعالجون اللّيل معاناةً أومتعةً، كـ(ليل التّمام) و(ليل البلابل) كقول امرئ القيس كذلك، مكابدًاهذا اللّيل المسمّى بـ(ليل التّمام)، والمقدَّر من اثنتي عشرة ساعة إلى خمس عشرة، ومَا مُكابدة هذا اللّيل إلا شوقٌ لوصل محبوبته بقوله:(البطليوسي: 1 / 16.)[المتقارب]:

فبِتُّ أُكابِدُ ليلَ التَّمامِ والقلْبُ مِن خَشْيَةٍ مُقْشَعِرْ

أمّا النّابغة الذّبياني فهو يصوّر حالَ قلقه من وعيد النّعمان، إذ يسهر قَلِقًا كالملدوغ الّذي يجعلون الأساور بيديه ويحرّكونها لتصدرَ صوتًا؛ لئلّا ينام فيسري السُّمُّ في جسده،

(1) تريه النجم يجري بالظهر: مَثَلٌ في مُبالَغة الممِّ والحُزْنِ.

وذلك بقوله (البطليوسي: 1 / 240.) [الطويل]:

يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمامِ: سَلِيْمُهَا لِحَلِي النِّسَاءِ، فِي يَدَيْهِ قَعَاقِع

وفي موضع آخر يقصد النابغة اللّيل الذي يُهاب لظلمته؛ لما فيه من غُمّة وغشوة قد تمنع الرّؤية لمبالغة النّفس القلقة ليقظة النّعمان وعيونه، فضلا عن مهابته وذلك بقول النابغة (البطليوسي: 1 / 247.) [الطويل]:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأى عَنْكَ واسِعُ

كما أنَّ اللّيل عند النّابغة معاناة قاسية؛ لشعوره ببطءِ زمنه، وكواكبه تكاد تكون ثابتة لبطئها، ففي أشدِّ حالات القلق يتوقّف الشّعور بالزّمن، فاللّيل يتطاول تتأبّد لحظاته، وهذا التّطاول يرافقه صَمتٌ يستجمع توقّعات خوف الآتي فيقول (البطليوسي: 1 / 249 - 250.):

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقاسِيْهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لِيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيسَ الَّذي يَرْعَى النُّجُوْمَ بِآيبِ

المساء: يكون: (المَسَاءُ: بعد الظهر إلى صلاة المغرب، وقال بعضهم إلى نصف الليل، وقول الناس كيف أمسيت أي كيف أنت وقت المساء.) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: مسا.) و: (إذا كانَ بعيد العصر فهو المساء ويقال للرجل عند العصر إذا كان يبادر حاجة: قد أمسيت وذلك على المبالغة.) (العسكري، أبو هلال: الفروق اللغويّة، 273.) لم تذكر لفظة المساء في الأشعار السّتّة الجاهلية اسمًا إلا بصيغتين (مُمْسَى) بمعنى إمساء عند امرئ القيس ضمن وصفهِ فتنة بيضة الخِدر، فممسى الرّاهب له خصوصية الصَّفاء الرّوحي، والبهاء المضيء من طقسه في علاقته مع السّماء، وفي بيت امرئ القيس لمحة قدسية يدريها أو لايدريها تشترك فيها المرأة وهي تثري الوجود بالعطاء الجمالي والغريزي؛ إذ كانت معبودة في زمنٍ ما، فيتمثّل ذلك بقوله (البطليوسي: 1 / 45.) [الطويل]:

تُضيءُ الظَّلَامَ بِالعِشاءِ كَأَنَّها مَنَارةُ مُمْسى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ (1)

أمّا لفظة (أمسى) - غالبًا - فتحمل دلالة صار أوتحوَّل، كقول امرئ القيس (البطليوسي:1 / 114.) [الطويل]:

أَأَسْمَاءَ أمْسَى وُدُّها قَدْ تَغَيَّرَا سَنُبْدِلُ إنْ أَبْدَلَتِ بِالوُدِّ آخَرا

(1) المنارة: المسرجة، المتبتل: المجتهد في العبادة، ممسى راهب : يعني إمساء راهب، دخل في المساء فأسرج منارته وخصّه لأنه لا يطفئ سراجه.

البيات: جاء في اللسان: (قالَ الزّجاج: كل مَن أدرَكَه اللُّيل فقد باتَ، نامَ أو لَمْ يَنَم.. وقالَ الليثُ: ومن قال باتَ فلانٌ إذا نامَ، فقد أخطأ؛ ألَا ترى أَنَّكَ تَقول: بِتُّ أُراعِي النُّجومَ؟ معناهُ بِتُّ أنظرُ إليها.) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: بيتَ.) وقد قال النابغة وهو يصف ناقته التي باتت ثلاث ليالٍ ورابعة - ربما ليس فيها نومٌ - تراقب المنازل حتى تخرج منها وذلك بقوله (البطليوسي: شرح الأشعار الستة الجاهلية، 1 / 283.)[البسيط]:

باتَتْ ثَلاثَ لَيالٍ ثُمَّ واحدةً بِذي المَجازِ تُراعي مَنْزِلًا زِيَما [1]

زمن طبيعيٌّ محدّد، والغرض من تحديده بيان المشقّة التي احتملتها هذه النّاقة، ولعلَّ النابغة يُشير إلى طول تأمّله في هذه الرّحلة على هذه الرّاحلة، أمّا قلقه فطالما كانت تحتضنه ليليه بالأرق.

العِشَاء: جاء في لسان العرب: (العِشَاءُ: أوَّلُ الظَّلام من اللَّيْلِ... والعَشِيُّ والعَشِيَّةُ: آخِرُ النَّهارِ... والعَشِيَّات في الشِّتاءِ أطول وأطيب) (ابن منظور: لسان العرب، مادة عشا.) العشاء مُضاءٌ عند امرئ القيس حين يكون في هذا الزّمن مع معشوقته وهي (كبكر المقاناة) التي خولط بياضَها بصفْرة، وهي بهذا الوصف ليست ذات ضوء شديد منبعث من بياضها؛ إذ لم يكن هذا البياض ناصعا مادام قد خولط بصُفرة، ولكنَّ هذا الوهجَ وهجُ سِحر جمالها بعينيه الذي استولى على أحاسيسه، فامتلأ باللّحظة رغبةً كما أضاءت العشاء خيالًا. فالعشاء إن كانَ هنا بدلالة ظلام؛ فلكي تكون المعشوقة ذات مرأىً مُبهر، يكتسح ظلمة العشاء ويُبقيها، هي قبلة النّظر فيً هالةِ ما أضاءت. والظاهر أنُّه عشاءٌ بارِدٌ ففيه ذِكْرُ الرّاهب المتلفّع المُنزوي تبتُّلا والنّار المُسرجة استدفاءً ولذيذ رغبة، إذ يتمثَّلُ ذلك بقوله (البطليوسي: 1 / 45.) [الطويل]:

تُضِيءُ الظَّلامَ بِالعِشاءِ كَأَنَّها مَنَارةُ مُمْسَى رَاهبٍ مُتَبَتِّلِ

كما أنَّ المطر في زمن العَشي أشدّ ما يكون انهمارًا، فيوظّفه امرؤ القيس تشبيها لفرسه، بانهمار وابل المطر لسرعته في إثر صيْدٍ صادفه، بقوله (البطليوسي: 1 / 101.) [الطويل]:

وَوَلَّى كَشُؤْبوبِ العَشيِّ بِوابِلٍ و يَخْرُجْنَ مِنْ جَعْدٍ ثَرَاهُ مُنْصَبِّ [2]

وربما يكون المطر (وكُاف العَشِي) مُدمِّرًا ماحيا قرىً كانت عامرة وآية في العمران وموشَّاة بالزينة وكأنّه ما أردف العشي إلّا لأنَّ المطر أشدَّ ما يكون فيه.

(1) ثلاث ليالٍ: يعني التشريق ثم نفرت فباتت ليلة واحدة بضي المجاز، تراعي: تراقب، زيَما: الناس مفرّقون.
(2) الشّؤبوب: دفعة المطر بشدة، الوابل الشديد، المنصب: الشديد.

الغد: زمنٌ بين القريب والبعيد: إنَّ الألفاظَ في اللّغة ذات معنى نسبي: (يختلف التقدير بشأنها من وقتٍ لآخر. فما تقول عنه (قريب) اليوم قد تقول عنه (بعيد) غدًا. الأمر يتوقف على الحالة النفسية للمتكلّم وعلى سياق المحادثة) (الخولي، محمد علي: علم الدّلالة (علم المعنى)، 72.) فطرفة حين يتناوش الموت يشبّهه بماء العيون والآبار الذي لا ينقطع فهو مورد للأحياء لا يفنى، فهم على الدّوام واردوه؛ فيأتي الغدُ عنده محتملاً القرب والبعد؛ طالما اقترن بالموت، وهو أجلٌ مجهول في زمن وقوعه، ولكنّه يُرجّح القرب؛ لحتميته، وذلك في قوله (الأعلم الشنتمري: أشعار الشّعراء السّتة الجاهليين، 2 / 57.)[الطويل] :

أرى الموتَ أعْدادَ النُّفُوس ولا أرى بَعيْدًا غَدًا، ما أقْرَبَ اليَوْمَ مِن غَدِ [1]

ألفاظ ملمحة للزّمن: الألفاظ الملمحة للزّمن كثيرة: (تدلنا مادة الشّعر الجاهلي على أن معظم الألفاظ ذات الدلالات الرّمزية تتميز بميزة مشتركة هي كثرة الدوران والاستعمال. وذلك معناه أن بعض الألفاظ الأخرى وإن كانت كثيرة الاستعمال والدوران تخلو من خاصية الدّلالة الرمزيّة) (العبد، محمد: إبداع الدّلالة في الشّعر الجاهلي، 53.)، فالوليد والوليدة، والطفل، والغلام، والشّباب، والشّيخ، والأشمط. .. الخ كلّها ملمحة إلى مراحل زمنية من العمر، فامرؤ القيس يقول (البطليوسي: شرح الأشعار الستة الجاهلية، 1 / 162.) [الطويل]:

لَيَالٍ بِذَاتِ الطَّلحِ عِنْدَ مُحَجَّرٍ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ لَيَالٍ عَلَى أُقُرْ [2]

أُغَادِي الصَّبوْحَ عِنْدَ هِرٍّ وَفَرَنْتَا وَلِيْدًا وَهَلْ أَفْنَى شَبَابي غَيْرُ هِرْ [3]

فليالي مُحَجّر التي هي أحبُّ إليه مِن غيرها، إنما كان يُباكر فيها شُربَ الغدَاة عند (هَرٍّ و فَرَنْتَا) و قد تعشَّقهما طِفلاً و كَهْلاً و هامَ بهما شابًّا و شَيْخًا، فكلُّ هذا الوله و التّعشُّق لم تغيّره مراحل العمر هذه، و قد ذكرها الشّاعر - أي المراحل العمريّة - ليُدلّل على أنَّ عِشقَه لهما و لهرٍّ خاصة لَهُ نكهة، في كُلِّ مرحلة، و قد يُستغرَب من هذه المراحل (وليدًا) فالوليد لا يعي عاطفته ؛ فهو في زمنٍ كمون الرّغبة و لمّا تتفتَّق بَعدُ، فلربّما يرمي إلى المبالغة في تَعَلُّقه أو قد يكون محرومًا من حنان جوانح أمٍّ رؤوم، ثُمَّ يلدلف إلى ذِكْرِ شبَابِه المُقدَّم قُربانًا إلى هِرّ، هذا الشّباب الّذي هو زمن الاندفاع لكلِّ ماهو جميل أفناهُ في حُبِّها فينعاهُ تحسَّرًا إذ ينحو منحى الاستفهام للنفي (وَهَلْ أَفْنَى شَبَابي غَيْرُ هِرْ) فصار إثباتًا و تقريرًا.

(1) الأعداد: جمع عِد بكسر العين وهو الماء الدّائم الذي لا تنقطع مادته مثل العيون والآبار لا ماء الغدران.
(2) ذات الطلح: أرض فيها شجر الطّلح، مَحَجَّر: موضع ببلاد طيئ.
(3) الصّبوح: شرب الغداة، هِر وفرنتا: اسمان لامرأتين.

يرى تودوروف (أن الزّمن هو الذي يسمح لنا بالانتقال من الخطاب إلى التخيل) (تودوروف، تزيفيطان: الشعرية، 47.) لأنَّ الخطاب يكون الزَّمن فيه خطيًّا، والتخيّل تتحقق فيه الأهداف الجماليّة عبر التّحريف الزّمني، واللّغة الشّعرية لغةٌ جماليّة بمعنى أنّها (تؤسس المعرفة تأسيساً جماليًّا) (الجهاد، هلال: جماليات الشعر العربي، ص: 99.) فاللّفظة الملمحة إلى الزّمن حين تنتظمها القصديّة في السّياق، تفسح مجالًا لتخيّل فاعلية الزمن إذ (لا شيء يمكن أن يكون له عندنا معنى إلا بالقدر الذي يمكننا أن نجد معه كلاماً للتعبير عنه) (مندلاو: الزمن والرواية، ص 172.) وهذه المعيّة هي التي تنتظم الإحالات، فمثلا يذكرون صفة المرحلة العمريّة فتدل على زمنٍ فاعلٍ، له وظيفة سياقيّة مهمّة كـ(المُرد، الشِّيب) فليست لها معنى للوهلة الاولى إلا الجمع ولكن في قول النّابغة الذبياني (البطليوسي: 1 / 265.)[البسيط]:

شُعْثٌ عَلَيْهَا مساعِيْرُ لِحَرْبِهِمُ شُمُّ العَرَانينِ مِنْ مُرْدٍ وَمِنْ شيبِ (1)

لها معنى مباشر ودلالة سياقية؛ لأنَّ إيراد هاتين اللّفظتين في هذا السّياق يوحي بدلالة أن هؤلاء القوم لا يُعجزهم الإقدام على الحرب، أو افتخارًا في سياق إعلام الآخر بأنّنا نُقبل على الحرب بجمعنا فضلاً عن كونهم أعزَّة لا يُذَلُّون، فمنهم (المرد) الصّغار من الشّبان قد لا يمتلكون الخبرة، ولكنَّ الحماسة تمثَّلت فيهم، ويسدُّ هذا النَّقص (الشِيب) بخبرتهم في الحروب وشجاعتهم، فهذا الذي يمكن أن يوجد معه كلام للتعبير عنه. وقوله كذلك في وصف جمال جاريةٍ في حال لو أنّها عرضت (لأشمط) راهبٍ مُتعبِّد لأدام النَّظر إليها وترك ما هو فيه، وذلك بقوله (البطليوسي: 1 / 323.) [البسيط]:

لَوْ أَنَّها عَرَضتْ لِأَشْمَطَ راهِبٍ عَبَدَ الإِلهَ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدِ (2)

لَرَنا لِرُؤْيَتَهَا وَحُسْنِ حَديثِها وَلَخَالَهُ رُشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ

و(الشَّمط: بياض شَعْر الرّأس يُخَالِطُ سَوَاده.) (ابن منظور: لسان العرب، مادة: شمط.) وفي هذا السّياق، كأن جمال الفتاة على حساب ذِكْر شمط النّاظر؛ فأراد الشّاعر دِلالة إحداث بُعد التباين الزّمني والمفارقة لبيان جمالها الّذي يأخذ بمجامع القلوب حتى قلب الأشمط الرّاهب المتعبد.

وهناك من التعابير الملمحة إلى حالة لا تكون إلا في هذا الزّمن المعيّن، مثال ذلك في قول علقمة الفحل (البطليوسي: 1 / 405.) [الكامل]:

(1) مساعير: واحدهم مسعور وهو الذي يُسعّر الحرب أي يهيجها، شُم: جمع أشَم وهو المرتفع الأنف الحسن، العرانين: الأنوف، المرد: جمع أمرد وهو الشّاب، الشيب: جمع أشيب.

(2) الرَّاهب: الخانع لله، الصّرورة في الجاهلية: الذي لم يتزوّج، وقيل الذي لم يُذنب قط.

ورَفَعْتُ راحِلَةٌ كَأنَّ ضلُوعَها مِن نَصِّ راكِبِها سَقائفُ عَرْعَرِ [1]

حَرَجًا إذا هَاجَ السَّرابُ عَلَى الصُّوى واسْتَنَّ في أُفقِ السَّماءِ الأغْبَرِ [2]

فهيجان السّراب على الصّوى لا يكون إلّا في النّهار وفيه دلالة على شدّة هذا الوقت، وبيان لما تتعرّض إليه النّاقة من التّعب والمشقّة، وبسبب هذا الحثّ على السّير، فصارت ظلوعها كأنها سقائف تُشد على كسر البيت.

من كل ذلك نستنتج أنَّ ألفاظ الزمن في الأشعار السّتة الجاهليّة كان لها مع المعنى المعجمي دلالة متّسعة يتضمَّنها السّياق، في منظومة تأسست على مرجعية ثقافة الشّاعر، ووعيه لطبيعة ببيئته، ولم يقف ذلك على الألفاظ المباشرة بل تعدّى ذلك إلى الألفاظ الملمحة، وبعض التراكيب التي توحي بالزّمن؛ مما يُظهر انتباهة الشّاعر الجاهليّ إلى الزّمن وأهميته لديه، ومدى تأثيره في حياته وشعره إلى الحد الذي جعله ينسب إليه النّوازل والفجائع، كما جاء عند زهير بن أبي سلمى، وكما أجْلَت ألفاظ الزّمن في الأشعار السّتّة الجاهليّة الدّقة في الاستعمال، والذّوق في الانتخاب، مع معرفةٍ تمتزج معها وجدانيّة، يرافقها حسٌّ مرهف بما حول الشّاعر وارتباطه ببيئته وأشيائها، ونَظَمَها في السّياق المناسب، لما يصف أو يذكر؛ فتتفرّع دلالاتها، وتتنوع إيحاءً.

(1) رفعْتُ: حثثْتُها على السير حتى عريت ظلوعها.
(2) الحرج: الضامرة من النوق، الصُّوى: الأعلام والجبال.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الأثير، مجد الدين أبو السّعادات المبارك بن محمّد الجزري (1963). النّهاية في غريب الحَديثِ والأثَر (تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي). المكتبة الإسلامية.

امرؤ القيس (د.ت.). ديوانه (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط5). دار المعارف.

بالمر، ف. ر. (1985). علم الدّلالة (تحقيق مجيد عبد الحليم الماشطة). كليّة الآداب، الجامعة المستنصرية.

برديائف، نيقولاي (2003). العزلة والمجتمع (تحقيق فؤاد كامل). مكتبة النهضة المصرية.

البطليوسي، أبوبكر عاصم بن أيوب (2008). الأشعار السّتة الجاهليّة (تحقيق ناصيف سليمان، مراجعة لطفي التّومي). المعهد الألماني للأبحاث الشرقية.

بلوحي، محمد (2004). آليات الخطاب النّقدي العربي الحديث - في مقاربة الشعر الجاهلي - بحث في تجليات القراءات السياقية. اتحاد الكتاب العرب. www.awu-dam.org

التّهانوي، محمد علي (1996). كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم (تحقيق علي دحروج، ترجمة عبد الله الخالدي، تقديم وإشراف رفيق العجم). مكتبة لبنان.

الجهاد، هلال (2001). فلسفة الشعر الجاهلي، دراسة تحليلية في حركية الوعي الشعري العربي. دار المدى للثقافة والنشر.

الجوهري، أبونصر إسماعيل بن حمّاد (2009). الصّحَاح تاج اللغة وصحاح العربية (راجعه واعتنى به الدكتور محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد). دار الحديث.

حسام الدين، كريم زكي (د.ت.). الزّمان الدّلالي - دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية. كتاب الكتروني.

ابن دريد، أبو بكر بن محمد بن الحسن (1978). جمهرة اللغة (حققه وقدّم له الدكتور رمزي منير بعلبكي). دار العلم للملايين.

الرّاغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (1992). مفردات ألفاظ القرآن (تحقيق صفوان عدنان داوودي). دار القلم، دمشق.

ربابعة، موسى (2011). تشكيل الخطاب الشعري، دراسات في الشّعر الجاهلي. دار جرير للنشر والتّوزيع.

السّامرّائي، فاضل (د.ت.). http://www.startimes.com/?t=30975585

الشّنتمري، الأعلم، يوسف بن سليمان بن عيسى (1963). أشعار الشّعراء السّتة الجاهليين، اختيارات من الشعر الجاهلي (ط3). مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي.

طشطوش، عبد العزيز (1986). الزمن في الشعر الجاهلي [رسالة ماجستير، جامعة اليرموك].

أبوالعباس، ثعلب (2008). شرح شعر زهير بن أبي سلمى (تحقيق فخر الدّين قباوة، ط3). مكتبة هارون الرشيد للتوزيع.

العبد، محمد (1988). إبداع الدّلالة في الشّعر الجاهلي (مدخل أسلوبي). دار المعارف.

العقاد، عباس محمود (1960). الزّمن في اللغة العربية. مجلة الأديب، 6.

علي، جواد (د.ت.). المفصّل في تاريخ العَرَب قبلَ الإسلام. منشورات الشريف الرّضي.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. العين (تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي). دار ومكتبة الهلال.

قاسم، باسم إدريس (2014). الشاعر الجاهلي والوجود، دراسة فلسفية ظاهراتية. مركز دراسات الوحدة العربية. https://doi.org/10.12816/0021066

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (د.ت.). كتاب الأنواء في مواسم العرب.

المرزوقي، أبوعلي المرزوقي الأصفهاني (د.ت.). كتاب الأزمنة والأمكنة. مطبعة مجلس دائرة المعارف الكائنة.

فندريس (1950). اللغة (ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص). مكتبة الأنجلو المصريّة.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم الأفريقي المصري (1992). لسان العرب. دار صادر.

أبوموسى، محمد محمد (2012). الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء (ط2). مكتبة وهبة.

هيدغر، مارتن (2012). الكينونة والزّمان (ترجمة وتعليق وتقديم د. فتحي المسكيني، مراجعة إسماعيل مصدّق). دار الكتاب الجديد المتحدة.

ياسوف، أحمد (1999). جماليات المفردة القرآنية (ط2). دار المكتبي.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanization Arabic References:

ibna al'athīri majda al-dīni 'abū al-sa'ādāti almubāraka bn muḥammadu aljazariyyi 1963). al-nihāyata fī gharību alḥadythi wa-al-'thari taḥqīqa maḥmūda muḥammada al-ṭnāḥy waṭāhirun 'aḥamida al-zā'ī almaktabata al'islāmiyyata

imru'u alqaysi d t). dīūānuhu taḥqīqa muḥammada 'abū alfaḍli 'ibrāhym ṭ dāra alma'ārifi

bi-al-marri f r (1985). 'ilma al-dalālati taḥqīqa majīda 'abdi alḥalīmi almāshiṭati kulliyyata al'ādābi aljāmi'ata almustanṣiriyyata

brdyā'f nyqwlāy 2003). al'uzlata wa-al-mujtama'a taḥqīqa fu'ādi kāmili maktabata al-nahḍati almiṣriyyati

albaṭalyawsiyyu 'abūbakrin 'āṣima bn 'ayyūban 2008). al'ash'āra al-sittata aljāhiliyyata taḥqīqa nāṣīfi salīmāni murāja'ata luṭfī al-tūmiyyi alma'hada al-'lmāny lil-'bḥāthi al-sharqiyyati

bilawḥiyyin muḥammada 2004). 'āliyyāti alkhiṭābi al-naqdiyyi al'arabiyyi alḥadythi- fī muqārabati al-shi'ri aljāhiliyyi- baḥthun fī tajallīāti alqirā'āti al-sīāqiyyati ittiḥādu alkitābi al'aribi

www.awu-dam.org

al-thānī muḥammada 'allī 1996). kashāfin iṣṭilāḥāti alfunūni wa-al-'ulūmi taḥqīqa 'allī dḥrwj tarjamata 'abdi al-lhi alkhālidiyyi taqdymun wa'ishrāfu rafyqu al'ajami maktabata lubnānin

aljihādu halāala 2001). falsafata al-shi'ri aljāhiliyyi dirāsata taḥlīliyyata fī ḥarakiyyatu alwa'y al-shi'riyyi al'arabiyyi dāru almudā lil-thaqāfati wa-al-nashri

aljawhariyyu 'bwnṣr 'ismā'yl bn ḥammādu 2009). al-ṣiḥāḥa tāja al-lughati waṣiḥāḥi al'arabiyyati rāja'tu wi'tanā bihi al-duktwru muḥammadu muḥammadu tāmiru 'ansa muḥammada al-shāmiyyi zakariyyā jābira 'aḥamida dāra alḥadythu

ḥusāmu al-dīni karīma zukkī d t). al-zamānu al-dalāliyyu- dirāsata lughawiyyata limafhūmi al-zamāni wa'alfāẓihi fī al-thaqāfati al'arabiyyati kitābu al-ktrwny

ibna duraydi 'abū bikri bn muḥammadu bn alḥusni 1978). jamharata al-lughati ḥuqaqtu waqadama ltu al-duktwru ramziyyu munīru ba'labakkiyyu dāra al'ilmi lil-malāayīni

al-rāghibu al-'ṣfhāny alḥissayni bn muḥammadu bn almufaḍḍali 1992). mufradāti 'alfāẓi alqur'āni taḥqīqa ṣafwāna 'adnāni dwwdy dāra alqalami dimashqa

rbāb'ah mūsā 2011). tashkīla alkhiṭābi al-shi'riyyi dirāsātin fī al-shi'ri aljāhiliyyi dāru jarīrin lil-

nashri wa-al-tawzī'i

al-sāmarrā'iyyu fāḍila d t). http://www.startimes.com/?t=30975585

al-shntmry al''lama yūsf bn salīmāni bn 'īsā 1963). 'ashi'āra al-shu'rā'i al-sittata aljāhiliyyīna ikhtīārātin mina al-shi'ri aljāhiliyyi ṭ maktabata 'abdi alḥamīdi 'aḥamida ḥunfiyyun

ṭshṭwsh 'abda al'azīzi 1986). ilzaminna fī al-shi'ri aljāhiliyyi risālata mājistīrin jāmi'ata alyarmūki

'bwāl'bās tha'laba 2008). sharaḥa shi'ru zuhayri bn 'abī salmā taḥqīqa fakhri al-dīni qbwah ṭ maktabata hārūni al-rashydi lil-tawzī'i

al'abdu muḥammada 1988). 'ibdā'a al-dalālati fī al-shi'ri aljāhiliyyi madkhala 'uslwbiyya dāra alma'ārifi

al'aqqādu 'abbāsa maḥmūda 1960). ilzaminna fī al-lughata al'arabiyyata majallatu al'adībi 6.

'aliyyun jawāda d t). almufaṣṣalu fī tārīkhi al'arabi qabla al'islāmi manshūrātu al-sharīfi al-raḍḍiyyi

alfarāhīdiyyu alkhalīla bn 'aḥamdun al'aynu taḥqīqa mahdī al-mkhzwmy w'ibrāhym al-sāmarrā'iyya dārun wamaktabatu alhalāali

qāsimun bismi 'idrys 2014). al-shā'ira aljāhiliyyi wa-al-wujūdi dirāsata falsafiyyata ẓāhirātiyyata markazu dirāsāti alwaḥdati al'arabiyyati

https://doi.org/10.12816/0021066

ibna qutaybati al-dīnawariyyi 'abū muḥammadu 'abdi al-lhi bn muslimu d t). kitābu al'anwā'i fī mawāsimi al'arabi

almarzūqiyyu 'abiwa'iliyyi almarzūqiyyi al-'ṣfhāny d t). kitābu al'azminati wa-al-'āmkinati miṭba'atu majlisi dā'irati alma'ārifi alkā'inati

fndrys 1950). al-lughata tarjamata 'abdi alḥamīdi al-dawākhiliyya wamuḥammada alqiṣāṣi maktabata al-'njlw almiṣriyyata

ibna manẓūrin 'abū alfaḍli jamāla al-dīni muḥammada bn mukarramu al-'fryqy almiṣriyya 1992). lisāna al'arabi dāru ṣādiru

'bwmwsā muḥammada muḥammada 2012). al-shi'ra aljāhiliyya darrāsatun fī munāzi'u al-shu'rā'i ṭ maktabata wahibatan

hydghr mārtina 2012). al-kynwnah wa-al-zamāna tarjamatan wata'līqa wataqdyma d fatḥuy almiskīniyyu murāja'ata 'ismā'yl muṣaddaqa dāra alkitābi aljadīdi almuttaḥidati

yāswf 'aḥamida 1999). jamālīāti almufradati alqur'āniyyati ṭ dāra almaktabiyyi

Time Expressions in the Book (Explanation of the Six Pre-Islamic Poems) by the Minister Abu Bakr Al-Batelyousi: A Semantic and Contextual Study

Mohamed Hannoun Ali Alrubaie[1]

Maher Almobaidein[2]

Abstract:

This study aims to study time expressions from (Contextual to Lexical Significance) in the Book of Explanation of The Six Pre-Islamic Poems by the minister Abu Bakr Bin Asim Ayub Albatelyousi (died in 494 H.). It seeks to demonstrate that time expressions have more significance than mere lexical meaning. Albatelyousi's book is full of words that refer to the phenomenon of time. The Six Pre-Islamic Poems are only part of the system of the Arab understanding of the phenomena of existence at that time. These words had been founded on the amount of degrees of meanings and the interaction of the pre-Islamic man with the natural time, who finds the reflection of his words' accuracy in the meanings of those terms. This reflects his delicate sense and his accuracy in choosing his goals, such as using words whose meanings transcend lexical significance. These words draw, personalize and magnify the emotional state, which broadens their narrow denotative meanings and produces further signification. Besides, the lexical level of words is the primary meaning at the level of poetic form, which gives them, for example, a symbolic dimension. That is because the language of poetry is the subject of the poetic consciousness itself. Therefore, words that refer to time lie within the system of this sense of awareness that is derived from the poet's feeling of being an innovator and a product of his environment. This is exactly the impact of context.

Keywords: Time Expressions, Semantics, Context, Poets' Poems, Pre-Islamic Eras.

(1) College of Arts, Humanities, and Social Sciences - University of Sharjah (Sharjah - U.A.E.)
hano6565@yahoo.com

(2) College of Arts, Humanities, and Social Sciences - University of Sharjah (Sharjah - U.A.E.)